نونيـــة ابن زيدون
دراسة بلاغـــية

الدكتـــــور
عبد الرزاق عبد العليم ريان الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:ـ

الحمد لله الذي أنطـق الإنسان ، فأفصح بعجيب البلاغة وسحر البيان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي منحه الله فضيلة البيان ، فكان من الحجة والبلاغة بمكان ، قطع بها لسان أهل الزور والبهتان ، وعلى آله وصحبه الأئمـة الأعيان ، وعلى من تبعهم إلى يوم القيامة بإحسان.

وبعد

فابن زيدون نشأ فى بيئة علمية أدبية ، فقد كان أبوه فقيها من فقهاء قرطبة المشهورين وأديبا متميزا ، وكان جده لأمه فقيها وقاضيا كبيرا معروفا بالصرامة والحزم ، فنشأت ابنته (أم ابن زيدون) فى بيت علم وحزم ، فلا عجب أن ينشأ ابن زيدون نشأة خاصة بعيدا عن السوقية والحرمان، فنبغ فى الشعر نبوغا كبيرا ، ومضى فيه على المذهب المحافظ الجديد ، الذى مضى عليه أمثال : البحترى والمتنبي من المشارقة ،وابن هانئ وابن دراج من الأندلسيين.

فهـو من أشهر الشعراء العرب ، ومن أكثرهـم رقـة فى أسلوب وعذب بيان ، زود ديوان الشعر العربي بواحـدة من قصصـه العاطفية الكثيرة ، كان هـو بطلها مع (ولادة بنت المستكفي) من أواخر الخلفاء الأمويين بالأندلس(١).

---

(١) انظر مقدمة ديوان ابن زيدون. تحقيق محمد سيد كيلانى. الطبعة الثالثة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٥م.

وهذه القصيدة العاطفية هى التى اشتهرت بالنونية، والتى تبلغ اثنين وخمسين بيتا،نظمها فى الغزل والاستعطاف،وذكر أيام الوصل وأيام الفراق،ثم الدعوة إلى العودة إلى سالف عهدها معه من الوصل والود والوفاء.

وهذه القصيدة شغف بمعارضتها وتخميسها وتسديسها كثيرون، ولكنها ظلت سامقة فى مكانها الرفيع[1] .

وقـد درست هذه القصيدة أدبيا ، فتناولها بالمقارنة بينها وبين نونية أحمد شوقي الدكتور محمد عبد الفتاح القشلان فى عمل بعنوان (معارضة شوقى لنونية ابن زيدون بين التميز والاقتداء) ، ولكنه تناولها تناولا أدبيا، ولم يتعرض للبلاغـة فيها إلا بالنذر اليسير المجمل، مما دعا إلى دراستها بلاغيا ، فكان هذا العمل المتواضع منى تحت عـنوان (نونية ابن زيدون دراسة بلاغية) ، وقمت بتوفيق الله بإماطة اللثام عن بلاغة الشاعر فى هذه القصيدة التى عمد فيها إلى الألفاظ الرقيقة التى تناسب الغزل، فتلين له سهولة وعذوبة ، مرتدية ثوب الوضوح والبساطة، كما خلط بألفاظه الغزلية بعض الألفاظ الإسلامية أو الدينية ليستعين بها على إضفاء بعُد إيمانى ، وإحاطتها بهالة من القدسية والإجـلال.

ومنهجى فى هذا البحث هو بيان مافى القصيدة من نواح بلاغية وشرحها وتحليلها وبيان مواقعها من البلاغة تحليلا يفى بالمطلوب كما تعرضت لبعض مدلولات الألفاظ وحسن استعمالها.

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق على عبد العظيم ص١٤١ . دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٩٨٠م.

أما الخطة فقد تمثلت فى :

مقدمة ، وتمهيد ، وسبع مقطوعات ، وخاتمة ، ثم فهرس للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات.

ففى المقدمة تناولت أهمية الموضوع وخطته ومنهج الدراسة فيه؛

ثم فى التمهيد ذكرت ابن زيدون وحياته، وثقافته ، وعلمه ، ومناصبه ثم وفاته، وبينت منزلته الأدبية ، وماذا قال عنه النقاد الغربيون وبعض المستشرقين، ثم ذكرت القصيدة كاملة.

أما المقطوعات فجلعت لكل مقطوعة عنوانا وهى مرتبة كالتالى:

(أ) حزن وألم وتناولت الأبيات من ١ ـ ٧

(ب) عتاب ووفاء وشمل الأبيات من ٨ ـ ١٠

(ح) بقاء على العهد وتحته الأبيات من ١١ ـ ٢٠

(د) مناشدة الطبيعة إبلاغ محبته لها وذلك فى الأبيات من ٢١ـ ٢٤

(هـ) تميز المحبوبة عن غيرها وتمثل هذا فى الأبيات من ٢٥ ـ ٣٠

(و) وصف لذة أيام الوصال وذلك فى الأبيات من ٣١ ـ ٣٥

(ز) ندم وبكاء على الفراق وهذا موجود فى الأبيات ٣٦ ـ ٤٤

(ج) دعوة إلى العودة لسالف عهدها وشمل الأبيات من ٤٥ ـ ٥٢

وفى الخاتمة ذكرت خلاصة للأنواع البلاغية التى استخدمها الشاعر من حيث الإكثار والإقلال فى استعمال كل نوع .

ثـم أنهيت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات،

والله أســأل التوفيق والسـداد ، وأن يهلـمنى العصمة والرشاد، إنه سميع قريــب مجيب للعباد ، وأصلى وأسلـم على خير خلق الله فى الدنيا ويــوم الميعاد.

دكتور
عبد الرزاق عبد العليم ريان الشريف
٣/ ١١/ ٢٠١٠م

تمهيد

ابن زيدون وحياته:

هـو أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومى، وبنو مخزوم بطن من لؤى بن غالب من بطون قريش ، ومن هاماتهم خالد بن الوليد المخزومي كانت إليه القبة والأعنة،أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش،وأما الأعنة فهى قيادة الفرسان فى الحروب .

ولد ابن زيدون فى أوائل سنة ٣٩٤هـ (أواخر سنة ١٠٠٣م) بالرصافة من أرباض قرطبة ، من أبوين كريمين ، فقد كان أبوه من فقهاء قرطبة وأعلامها المعدودين ، وكان وثيق الصلة بالأمراء والعظماء، ثم مات ودفن بقرطبة عام ٤٠٥هـ وكان ابنه لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره.

أما أمه فخرجت من بيت معروف بالحزم والعراقة ، فأبوها هو أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم وكان من العلماء المرموقين ، تولى القضاء بقرطبة ، وتكفل برعاية شاعرنا بعد أن مات أبوه ، وظل يرعاه حتى جاوز الأربعين حيث توفى جده لأمه عام ٤٣٢ هـ .

إذن فالأب والأم لهما منزلـة رفيعـة ، ومكانة عالية ، فلا غرو أن يكون الابن عظيما قد تهيأت له عوامل العظمـة والنبـوغ .

ثقافتـه وعلمـه ومناصبه ثم وفاتـه:

وقد تلقى ابن زيدون معارفـه وعلمه عن أبيه أولا ـ وهو فى سن صغيرة ـ وعن شيخه أبى بكر مسلم بن أحمد بن أفلح النحوى (٣٧٦ ـ ٤٤٣ هـ)[1].

---

(١) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله ص ٢٥ شرح وتحقيق على عبد العظيم دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة ١٩٧٧م.

عـاش ابن زيدون فى عصر ملوك الطوائف ، وهو عصر انحدرت فيه دولة الأندلس بعد صعود ، وضعفت بعد قوة ، وانكمشت بعد امتداد ، وقد سقطت الخلافة الأموية بالأندلس نتيجة ما اعتورها من ضعف وانحلال ، وقامت على أنقاضها عدة دويلات منها قرطبة الذى تولى إمارتها (أبو الحزم ابن جهور) ، وكان ابن زيدون من وزرائه المقربين ، ثم تغيرت العلاقات بينهما نتيجة للدسائس، فألقى به فى السجن ، ولكنه استطاع الفرار من السجن بعد أن مكث فيه قرابة سنة ونصف ، وتشفع عند الأمير بولى عهده حتى عفا عنه الأمير ثم توفى الأمير أبو الحزم ٤٣٥هـ .

وتولـى ابنه (أبو الوليد) وكان من أصدقاء الشاعر المقربين فأدناه منه وولاه وزارته، ولكن سرعان ما عزله بعد أصغى إلى دسائس خصوم الشاعر ومنافسيه ، ثم رضى عنه بعد عدة أعوام، ولكن هيهات فقد عادت الدسائس مرة أخرى فهجر الشاعر أميره ، وانتقل إلى أشبيلية إلى بنى عباد ، ثم وقعت قرطبة فى أيدى بنى عباد عام ٤٦٢هـ فضموها إلى أشبيلية ، وكانت للشاعر يـد فى هذا التدبير(١) .

وكـان قد استقل أبو القاسم بن عباد بحكم أشبيلية عام ٤١٤هـ واستطاع بدهائـه أن يستولى على كثير من الأقاليم المجاورة له ، لكنه توفى ٤٣٣هـ فخلفه ابنه المعتضد بن عباد ، وكان شاعرا يحب الشعر ويجزل عليه الصلات ـ مع قوته الحربية والسياسية ـ فاجتمع فى بلاطه عدد كبير من الشعراء ، كان ابن

---

(١) انظر معارضة شوقى لنونية ابن زيدون بين التميز والاقتداء ص ٤٩ ، ٥٠ للدكتور محمد عبد الفتاح القشلان.

زيدون زعيمهم بلا جدال ، فهو يعد فى الرعيل الأول من شعراء العربية ، فاستعان به الأمير وولاه وزارته وأحسن شاعرنا التدبير، ولما توفى المعتضد ٤٦١ هـ خلفه ابنه المعتمد وكان من أصدقاء الشاعر فأقره فى منصبه، واستطاع أن يفتح بحنكة شاعرنا قرطبة ، وكان المعتمد من أرق شعراء الأندلس شعرا ، وأجودهم صياغة ، فجمع حوله كثيرا من الشعراء ، وقامت فى عهده فتنة بين الأمراء المسيحيين بالشمال ، وأمراء المسلمين بالجنوب، وأوشك الإسلام أن يندثر بالجزيرة ، لولا فضل الله ثم استعانة المعتمد بن عباد ، والأمراء المسلمون بيوسف بن تاشفين أمير الملثمين بالمغرب فأغاثهم ، ولكنه بعد أن رد كيد المسيحين عنهم التهمهم ، وأسر الأمير ومات فى أسره بعد معاناة وتعذيب .

وكانت أشبيلية حاضرة الأندلس قبل قرطبة،ثم عاد إليها ازدهارها فى عصر بنى عباد، حيث زاحمت قرطبة فزحمتها،وإن كان قيل عن قرطبة "إنها درة الأندلس الوضاءة،وإحدى حواضر العالم المعروف فى القرون الوسطى ".

فقد قيل عن أشبيلية " إنها عروس بلاد الأندلس ، لأن تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الأعظم ، وليس فى الأرض أتم حسنا من هذا النهر، يضاهى دجلة والفرات والنيل"[1] .

كل هذه المؤثرات فى البيئة التى نشأ فيها شاعرنا أثرت تأثيرا واضحا فى ابن زيدون مما جعل منه زعيم شعراء الأندلس بلا مراء .

---

(١) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله من ص ١٤ إلى ص ١٦.

وقـد لعب الحـب دورا خطيرا فى حياة شاعرنا وتكوين فنه، فتعلق قلبه (بولاّدَة) وهى من زهرات البيت الأموي الكريم ، فهى ابنة الخليفة محمد ابن عبد الرحمن الملقب بالمستكفى بالله ، وكانت أديبة شاعرة صاحبة صالون أدبي ، سبقت به شهيرات فرنسا ، فتهافت على ندوتهـا الشعراء والوزراء، وكان جمالها خلابا ، فتعشقها كثير من حاضرى ندوتها منهم: ابن زيدون، وابن عبدوس، اللذان تنافسا على حبها وزجر كل منهما الآخر بشعر قاسٍ، وكانت الغلبة لابن زيدون حيث كتب له ما يعرف (بالرسالة الهزلية)، فكف ابن عبدوس عن منافسته واكتفى بتأليب الأمير (ابن جهور) عليه، ونجح فى ذلك حيث أودعـه السجن، وعاد ابن عبدوس إلى صلته بولاده حتى جلوزا الثمانين وكانت ثروتها قد تبددت فواساها بما له حتى توفى ٤٧٢هـ، وتوفيت هى ٤٨٤ هـ وقد قاربت المائـة.

وفى السجن هدأت نفس ابن زيدون ، وأخذ يناجيها بأبيات عاطفية رقيقة، بعـد أن تقطعت الصلات بينهما ، ثم فر من سجنه إلىَ اشبيلية ، ومنها كتب (النونية الخالدة) إليها ، وقد بلغت اثنين وخمسين بيتا على الأرجح[1] ، ثم مات ابن زيدون بأشبيلية ٤٦٣ هـ .

منزلته الأدبية:

وابن زيدون ذو منزلـة أدبية عالية، حتى إن الباحثين الغربيين أشادوا بعبقريته من أمثال : كور ، ونيكل ، وجب ، وغومس ، وليفى .

---

(١) هناك البيت رقم ٢٠ لم يرد فى نسخ الديوان ، وهو موجود فى القلائد والخريدة وبدونه يكون مجموع الأبيات واحدا وخمسين بيتا، وبه تصير اثنين وخمسين بيتا.

ويذكر الدكتور فيليب :" إن بعض الدارسين يَعُـدُّ ابن زيدون أعظم شعراء الأندلس على الإطـلاق"(١) .

كما أن بعض المستشرقين وازنوه ببعض شعرائهم الغربيين، كما شغل كثير منهم بترجمة آثاره ، مثل الرسالة الهزلية، والرسالة الجدية ، إلى لغات أخري مثل اللاتينية والتركية .

وقـد قال عنه المستشرق الأسباني (جارثيا جومت) إن القصيدة النونية هى أجمل قصيدة حب نظمها الأندلسيون ، وغرة من أبدع غرر الأدب العربي كله، وهى قصيدة إنسانية ذوقها قريب جدا من الذوق الغربي "(٢) .

كمـا تأثر به كثير من أدبائنا وكتابنا من أشهرهم : محى الدين ابن عبدالوهاب والصفـدي.

وأولـع بعضهم بشرح رسالتيه الهزلية والجديـــة ٠

وهـذا يدلنا على آثـاره الأدبية العظيمة ومنزلـته الرفيعة فى الأدب ، مما يستوجب الوقوف معه فى نونيتـه الشهيرة ٠

وسـوف أذكرهـا كلها ٠ ثـم أقصد إليها شرحا وتحليلا بلاغيا بعد تقسيمها إلى أقسـام كل قسم تحت عنوان مُناسـب ، فأقول وبالله التوفيق:ـ

---

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله ص١٠٨ ، ١٠٩.

(٢)قصائد أندلسية للدكتور/ أحمد هيكل ص ٥٩ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

القصـــيدة

يقول ابن زيـــــدون:ـ(١)

١ـ أضحـى التنائى بديلاً من تدانيـنا	ونابَ عنْ طيب لقيانا تجافينَـا
٢ـ ألاَّ وقد حَانَ صبح البيْن صبحـنا	حينُ فقام بنا للحين ناعينـا
٣ـ منْ مبلغ الملبسينا بانتزاحهـــم	حُزْنا مع الدهْر لا يبلى ويبلينا
٤ـ أنَّ الزَّمانْ الذى مازال يضحكـنا	أنْساً بقُربهم قد عاد يبكينـا
٥ـ غيظَ العدا من تساقينا الهوى فدعوا	بأنْ نغصَّ فقال الدهرُ آميـنا
٦ـ فانْحل ماكان معقوداً بأنْفُسـنا	وانبت ما كان موْصولاً بأيدينا
٧ـ وقد نكُونُ وما يخْشى تفرقـنا	فاليوم نحنُ وما يرجى تلاقينـا
٨ـ ياليت شعرى ولم نعتب أعاديكـم	هلْ نال حظاً من العُتْبى أعادينا
٩ـ لمْ نعتقد بعْدكم إلا الوفاء لكـم	رأياً ولم نتقلـد غيرهُ ديـنا
١٠ـ ماحقنا أنْ تقروا عين ذى حسـدٍ	بنا ولا أنْ تسروا كاشحاً فينا
١١ـ كنا نرى اليأسَ تسلينا عوارضـه	وقد يئسنا فما لليأسُ يغْريـنا
١٢ـ بنْتُم وبنا فما ابتلتْ جوانحـنا	شوقاً إليكـم ولا جفَّتْ مآقيـنا
١٣ـ تكادُ حينَ تناجيكم ضمائرُنـا	يقضى علينا الأسى لوْلا تأسينا
١٤ـ حالتْ لفقدكم أيامُنا فغـدَتْ	سُودًا وكانتْ بكم بيضاً ليالـينا
١٥ـ إذْ جانب العيش طلق من تألفـنا	ومربع اللهو صافٍ منْ تصافينا
١٦ـ وإذْ هصرنا فنون الوصْل دانـية	قطافُها فجنينا منه ماشـينا
١٧ـ ليسق عهدكم عهدُ السرور فمـا	كنتم لأرْواحنا إلاَّ رياحـينا

---

(١) انظر القصيدة فى ديوان ابن زيدون ورسائله من ص ١٤١ حتى ١٤٨.

١٨ـ لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا	إن طالما غير النأى المحبينا
١٩ـ والله ما طلبتْ أهواؤنا بدلاً	منكمْ ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
٢٠ـ ولا استفدنا خليلاً عنك يشغلنا	ولا اتخذنا بديلاً منْك يسلينا
٢١ـ ياسارى البرق غاد القصر واسْق به	منْ كان صرْف الهوى والوُدَّ يسقينا
٢٢ـ واسْأل هنالك هلْ عنىَّ تذكرنا	إلفاً تذكره أمْسى يُعَنِّينا
٢٣ـ ويانسيم الصبا بلغْ تحيتنا	منْ لوْ على البُعدْ حيىَّ كان يحيينا
٢٤ـ فهلْ أرَى الدَّهْرَ يقضينا مساعفة	فيه وإنْ لمْ يكنْ غبا تقاضينا؟
٢٥ـ رَبيبُ ملكٍ كأنَّ اللهَ أنْشأهُ	مسْكاً وقدَّرَ إنْشاءَ الورى طينا
٢٦ـ أوْ صاغةُ ورقاً محْضاً وتوَّجه	منْ ناصع التِّبْر إبداعاً وتحْسينا
٢٧ـ إذا تأوَّدَ آدَتْهُ رفاهيَة	تُومُ العقودِ وأدْمته البُرَى لينا
٢٨ـ كانتْ لهُ الشَّمْسُ ظئْراً فى أكلته	بلْ ما تجلى لها إلاَّ أحَايينا
٢٩ـ كأنَّما أثْبتتْ فى صحْن وَجْنته	زُهْرُ الكواكب تعْويذاً وتزيينا
٣٠ـ ماضرَّ أنْ لم نكن أكفاءه شرفا	وفِي المَوَدَّةِ كافٍ منْ تكافينا
٣١ـ ياروضة طالما أجنتْ لواحظنا	ورداً جلاهُ الصَّبا غضا ونسرينا
٣٢ـ وياحياةً تمليْنا بزهرتها	مُنًى ضُروباً ولذاتٍ أفانينا
٣٣ـ ويانعيماً خطرْنا منْ غضارته	فى وَشْى نُعْمى سحبْنَا ذيْله حينا
٣٤ـ لسْنا نُسمَّيكِ اجْلالاً وتكرمة	وقدْركِ المعتلى عنْ ذاك يغنينا
٣٥ـ إذا انفردْتِ وماشوركت فى صفة	فحَسْبنا الوصفُ إيضاحاً وتبيينا
٣٦ـ ياجنة الخلدِ أبْدلنا بسدرتها	والكوثر العذبِ زقوماً وغسْلينا
٣٧ـ إنْ كانَ قدْعَزَّ فى الدنيا اللقاء ففى	مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

٣٨ـ كأنّنا لمْ نبتْ والوصل ثالثـــنا	والسَّعْدُ قدْ غض من أجفان واشـــينا
٣٩ـ سِرَّانِ فى خاطر الظَّلماء يكتمنا	حتَّى يكادَ لسانُ الصُّبْح يُفْشِـــينا
٤٠ـ لاَ غَرْو فى أنْ ذكرْنا الحزن حين نهتْ	عنه النُّهى وتركْنا الصَّبْرَ ناســينا
٤١ـ إنَّا قرأنا الأسى يوم النوى سُـوراً	مكتوبةً وأخذنا الصَّبْرَ تلْقـــينا
٤٢ـ أما هواكِ فلمْ نعْدلْ بمَنْهلـــه	شرْباً وإنْ كانَ يُرْوينا فيظْمـــينا
٤٣ـ لَمْ نَجْفُ أفْقَ جمالٍ أنْتِ كوْكبُـــه	سَالين عنْهُ ولم نهجُرْه قالـــينا
٤٤ـ ولاَ اخْتياراً تجنَّبْناهُ عَنْ كثـــب	لكـنْ عدتنا ـ على كرهٍ ـ عوادينا
٤٥ـ نَأْسَى عليك إذا حُثَّتْ مُشعْشَعـــة	فينا الشَّمُولُ وغَنَّانا مُغَنِّـــينا
٤٦ـ لا أكؤس الرَّاح تُبْدى منْ شمائلـنا	سِيمَا ارْتياحٍ وَلاَ الأوْتار تُلْهِيـــنا
٤٧ـ دُومى على العهد ـ مادمنا ـ محافظة	فَالحُرُّ منْ دانَ إنصافاً كما ديـــنا
٤٨ـ فما اسْتعضْنا خَليلاً منْك يَحْبسُـــنا	ولا استفدنا حَبيباً عنْكِ يُثْنـــينا
٤٩ـ ولوْ صَبا نحونا منْ عُلو مطلعـــه	بدْرُ الدُّجَى لم يكُنْ حَاشَاك يُصْبـينا
٥٠ـ أوْلى وفاءً ـ وإنْ لم تبذلى صلة ـ	فالطيفُ يقْنِعنا والذِّكـرُ يكفـــينا
٥١ـ وفى الجواب متاعُ إنْ شَفَعْتِ بـــه	بيض الأَيادِي التى مازلتِ تُولـــينا
٥٢ـ عليك منا سلامُ الله ما بقيـــتْ	صَبَابـة بكِ نُخْفيهَـا فَتُخْفيـــينا

(أ) حـــزن وألـــم

١ـ أضْحى التنائى بديلاً منْ تدانـــينا	وناب عن طيب لقيانا تجافينا[١]
٢ـ ألاَّ وقد حان صبحُ البين صبحـــنا	حينُ فقام بنا للحين ناعـــينا[٢]
٣ـ منْ مبْلغ الملبسينا بانتزاحهـــــم	حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا[٣]
٤ـ أنَّ الزمانَ الذى مازال يضحكـــنا	أنْساً بقربهم قد عاد يبكـــينا
٥ـ غيظَ العدا منْ تساقينا الهوى فدعـوْا	بأنْ نغصَّ فقال الدهرُ آمـينا[٤]
٦ـ فانحلَّ ماكان معْقوداً بأنفســـــنا	وانبتَّ ماكان موصولاً بأيْدينا[٥]
٧ـ وقد نكونُ ومايُخْشَى تفرقُـــــنا	فاليوم نحنُ وما يرجى تلاقينا

المعنى الإجمالـي :ـ

بنفس حزينة منكسرة ، وقلب جريح يبث ابن زيدون حزنه وألمه على فراق محبوبته (ولاَّدة) ويعرفنا أن الوصل الذى كان بينهما قد تبدل بُعدا ، وأصبح التجافى نائبا عن اللقاء الطيب ، حتى إن وقت الفراق فى الصباح بدا وكأنه موت وهلاك ، وكان يتمنى أن يلاقى مصرعه قبل أن يحم الفراق، ولذلك يتلمس مجيبا لشكواه يُبلغ المرتحلين بأنهم قد تركوا له وألبسوه حزنا

---

(١) انظر القصيدة فى ديوان ابن زيدون ورسائله من ص ١٤١ حتى ص ١٤٨.

التنائى : التباعد ـ التدانى : القرب ـ التجافى : المقاطعة

(٢)البين : البعد والفراق ـ حان صبح البين : جاء وقته ـ الحيْن : الموت والهـــلاك

الناعى: هو الذى يعلن الخبر بالوفاة ـ ويروى: الراعى فى الديوان والأولى أفصح.

(٣) الملبسين: جمع مُلبس اسم فاعل من ألبس ـ انتزاحهم : افتراقهم ـ يبلى : يهلك.

(٤) غيظ : بمعنى اغتاظ ـ نغص : الغصة هى وقوف الماء فى الحلق.

(٥) انحل: انفكَّ ـ انبتَّ : انقطع. انظر لسان العرب لابن منظور كل كلمة تحت مادتها .

طويلا لا يبلى ، بل هو الذى سيبلى ، والزمان الذى كان يضحكه عند أنسه بالمحبين تبدل وأصبح يبكيه ، وقد اعتاظ أعداؤه من مجالسه الممتعة التى قضاها مع محبوبته ، فدعوا عليه بأن يغص فى شرابه الهوى ، واستجاب الدهر لدعائهم وأمَّن على ذلك ، فليس هناك من حبيب يلجأ إليه ولقد تبدد أمل الشاعر وانقطع ما كان موصولا بينهما بعد أن كانا ينعمان بالقرب ، ثم أصبحا وليس للوصال طريق بينهما.

التحليل البلاغـى:

قبل أن أبدأ التحليل البلاغى يجدر بى أن أشير إلى مضمون هذه القصيدة فقد ذكر فيها ابن زيدون ألفاظا تعبر عن أشياء ثلاثـة هـى:

أيام الوصال، ويوم الرحـيل ، وأيام الفـــراق .

وقـد أجمل هذا فى البيتين الأولين حيث ذكر التنائى والتجافى وهذا يشير إلى أيام الفراق ، ثم ذكر التدانى وطيب اللقاء وهذا يشير إلى أيام الوصال ثم ذكر حينونـة صبح البين وهذا إشارة إلى يوم الرحـيل.

وتأتـي أبيات القصيدة بعد ذلك معبرة عن هذه الأشياء الثلاثة ، فعلى سبيل المثال نجد أيام الوصل مذكورة عنده فى الأبيات : الخامس عشر ،والسادس عشر ،والسابع عشر ، وكذا الأبيات الحادي والثلاثون، والثاني والثلاثون، والثالث والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والتاسع والثلاثون.

أما أبيات الفراق فعبر عنها على سبيل المثال أيضا فى الأبيات السادس ، والثامن ، والتاسع ، والعاشـر .

ويوم الرحيل عبر عنه فى البيت الثانى ، والبيت الحادي والأربعـــون.

وربما عبر عن الوصال والفراق معا فى بيت واحد هو البيت السابع كما سنرى عند عرضنا لأبيات القصيدة .

ونعود إلى البيت الأول من القصيدة وندقق النظر فيه فنرى فيه طباقا بين: التنائـى والتدانـي ، وطيب لقيانا وتجافينا ، ونحـن نعلم أن الطباق محسن بديعي يضفى الجمال على الكلام وهو محسن بديعى معنوى فأكسب المعنى بهاء ورقـة بالجمع بين الضديـن.

وأيضا بالبيت كناية عن صفـة هى صفة التحول من حال إلى حال ، فقد تحول حاله من الحَسَن إلى السىء وهى تعطينا المعنى مصحوبا بالدليل وأيضا نلحظ أنه وصل بين شطري البيت بالواو وهذا ما يسمى بالوصل للتوسط بين الكمالين ، فقد اتفقت الجملتان خبرا فى اللفظ والمعنى ، وهذا مما يربط بين الجمل ، وكأنه ربـط بين الحالين اللذين يعانى منهما ليعطينا إحساسه بالفراق كامـلا.

والشاعر قد عـبر بالفعلين : أضحى ، ناب وهما على صيغة الماضي، لكنهما فى الحقيقة يدلان على الزمن الحاضر ، لأن التنائى والتجافي قائمان زمن نظم القصيدة ، فالمعنى : أضحى الآن التنائى بديلا من التدانى ، وناب الآن عن طيب لقيانا تجافينا ، وإن كان أضحى يعنى عند النحاة اتصاف المخبر عنه بالخبر فى وقت الضحى ، فإنه يعنى هنا اتصاف المخبر عنه (التنائى) بالخبر (بديلا من تدانينا) فى كل الأوقات ، ويمكن أن نستبدل بأضحى : أصبح وأمسى ، فهو لا يفيد هنا

أكثر من التحول من حال إلى حال تحول العلاقة بين الشاعر ومحبوبته من حال القرب والود فى الماضي إلى البعد والجفاء فى الحاضر"[1].

أما البيت الثاني والذى يعبر فيه عن حينونة وقت الفراق، وكأنه الموت، وقد قام الناعى بالإخبار عن الموت فهو صورة صادقة لما يكابده الشاعر من آلام وأحزان فقد شبه وقت البين بالموت لأن كلا منهما انقطاع وبعد وعدم لقاء وأكد التشبيه بقولـه: فقام بنا للحين ناعينا ، حيث اعتبر الأمر قد انتهى ولارجعة فيه ، فكما أن الموت لا يترك فرصة للعودة إلى الحياة ، فكذلك الفراق لا يدع مجالا للتلاقي ، وهذا تعبير قوى ملك على الشاعر عواطفه فهى عاطفة جياشة تُشْرك من يسمعه- معها فى التأثر ، وهذا ما يعبر عنه بالصدق الشعـوري .

والبيت كناية عن اليأس والقنوط ويشير إلى يوم الرحيل كما أسلفنا.

أيضا لا يفوتنا أن نشير إلى مجىء الأفعال الماضية ودلت على الزمن الماضى (حان ـ صبحنا ـ قام)جاءت لتؤكد استمرار الحدث الذى دل عليـه الفعل،وأيضـا التأكيد بقد فى صدر البيت،وكلها أدوات تؤكد يأسه وقنوطـه مـن الوصـال وألا تفيد توكيد مضمون الجملة وإفادتها التحقق أو التحقيق وتدل على تنبيه السامع إلى ما يلقى إليه ، ولفت نظره إلى المعنى الذى يدل عليه الكـلام.

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون (الأزمنة السياقية للأفعال والعلاقات الدلالية للكلمات) للدكتور/ ناصر على عبد النبى ص ٣٧ مكتبة الآداب ميدان الأوبرا ـ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

وتفيد هنا التحضيض لأنها دخلت على الفعل المضارع فأفادت الحث والحض على الفعل"[1].

والبيت أسلوبه خبرى كسابقه ليؤكد الخبر فى الأذهان ، وقد أكد بقد فهو من النوع الطلبى الذى يتصور طرفاه ولكن يتردد فى إسناد أحدهما إلى الآخر، وهنا يحسن تقويته بمؤكـــد"[2] .

أما البيت الثالث فيبدؤه بأداة الاستفهام (مَـنْ) ليشد انتباه السامعين إليه، وهى للسؤال عن النوع والصفة من ذوى العلم"[3] .

فهى أداة عامة تتناول كل من يسمع ويعقل ليشاركه فى إيصال المطلوب إلى محبوبته.

يلحظ مجاوا عقليا فى قوله (حزنا مع الدهر) علاقته الزمانية فقد أشر كالدهر معه فى الحزن ، وهذا مما يحرك الأذهان وينشطها.

---

(١) معجم حروف المعانى فى القرآن الكريم ١/ ٣١٩ صنفه محمد حسن الشريف ، مؤسسة الرسالة بيروت ـ طبعة أولى ١٩٩٦م.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ١/ ٤٥ الطبعة الخامسة ١٩٧٣م .

(٣) انظر الإيضاح للخطيب القزوينى ٣/ ٦٩ شرح وتعليق د٠محمد عبد المنعم خفاجى. مكتبة محمد على صبيح الطبعة الأولى ١٩٤٩م ، وكذا البغية ٢/ ٤٠ الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

ونلحظ فيه استخدام طباق السلب فى قوله (لا يبلى ويبلينا) وهو من المحسنات المعنوية ـ كما عرفنا ـ التى تضفى على المعنى حسنا وبهاء، وترينا الفعل فى صورتين مختلفتين.

كـما نرى الاستعارة المكنية فى قوله (الملبسينا حزنا) فقد شبه الحزن بشىء يلبس بجامع الاحاطة والشمول وحذف المشبه به وأبقى لازما من لوازمه وهو الملبس بعد أن اشتقـه من المصدر وهو الالباس فهو يصور لنا الحزن وقد استغرقه وشمله كله وكأنه ثوب ألبسته له محبوبته بفراقها إياه، وفى هذا التجسيم والايحاء والمبالغة والتخييل الذى لا يخفى.

والأبيات الرابع والخامس والسادس مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبيت الثالث، فهى الخبر الذى أراد لمن سمعه أن يبلغـه ومضمونها أن الزمان الذى كان يضحكه ويسره أنسا بقرب المحبوبة قد أصبح يبكيه ويحزنه ، وكأن هذا نتيجة غيظ الأعداء من الوصال وقضاء أمتع الأوقات معها بشرب الهوى، فدعا الأعداء عليهما بأن يغصَّ الشراب فى حلقهما ، واستجاب الدهر لذلك ونتج عن هذا انخرام ما كان بينهما من وُدٍّ وهوى ، فانحل ما كان معقودا بنفسيهما ، وانقطع ما كان موصولا بيديهما.

ونلحظ فى البيت الرابع الطباق بين قوله (يضحكنا) وقوله (يبكينا) وهـو من المحسنات البديعية المعنوية التى تضفى على المعني حسنا وجمالا بالجمع بين الضدين.

وهناك طباق بين قوله فى البيت الرابع (بقربهم) وبين قوله فى البيت الثالث (بإنتزاحهـم).

وأيضا نرى مقابلـة حذف أحد طرفيها تظهر من السياق فى قولـه (أنسا بقربهم) فالسياق يقتضى أن يقول الشاعر: (قد عاد يبكينا وحشة ببعدهم) فقابل بين أنسا ووحشة ، وبين القرب والبعد.

ولهـذه المقابلات أثر لا يخفى فى لفت الأنظار والاسماع فضلا عما لها من تحسين للمعـنى.

كما لا تخفى الاستعارة التى تجسم المعنى وتوضحه فى قولـــه (الزمان يضحكنا، وقد عاد يبكينا) فقد خيل لنا المعنوى حسيا، فالزمان أخذ صفة الإنسان فى كونه مُضحكا ومبكيا.

كما أن التعبير (بأن) فى أول البيت يقوى المعني ويؤكده ، ونلحظ فصلا بين الشطر الأول وما يليه من الشطر الثاني سببه شبه كمال الاتصال وكأنه حينما قال الشاعـــر:

أن الزمان الذى ما زال يضحكـــنا .

قال سائل لماذا أضحككم ؟ فجاء الجواب

أنسـا بقربهـــم .....

فكما لا يجوز الوصل بين السؤال والجواب كذلك هنا لأن الجملة الثانية صلحت لأن تكون جوابا عن سؤال أثارته الجملة الأولى.

وفى البيت الخامس نلحظ كناية فى قولـه (غيظ العدا من تساقينا الهوى) فهى كناية عن صفة هى اللهو والشراب والاستمتاع بأوقات الهوى ولكن هل الهوى يُسقى ؟ هذا ما يعبر عنه بالاستعارة المكنية التى شبه فيها الهوى بسائل يشرب ، ثم أتى بشىء من لوازمه وهو السقى ولكننا نرى هنا عبارة (تساقينا) وهى تدل على المشاركة بين اثنين فكل واحد منهما يسقى الآخر، وهذا مانراه من شأن المحبين وهذا مازاد من غيظ الأعداء ، مما جعلهم يدعون عليهما بأن لا يهنئا بالشراب بل يقف فى حلقيهما ، وأمَّـن الدهر على ذلك.

وفى تأمين الدهر أيضا استعارة مكنية ، فقد اعتبر الدهر إنسانا يسمع ويعقل ويجيب ، وفىّ هذا تشخيص وإيحاء يبعث فى المعنى حركة وحياة.

وأسلوب البيت خبرى سيق لتأكيد الخبر فى الذهن وليتقرر المعنى.

ونرى فى البيت السادس طباقا بَـيْن قولـه (انحل ـ معقودا) ، قولـه (انبت ـ موصولا) فقد جمع بين الضدين فى كل منهما.

والبيت ـ كما أسلفنا ـ يعبر عن ايام الفراق ، فهو كناية عن صفة البعد، ويلاحظ كثرة الألفاظ الدالة على التحول والتغيير، لتعطينا صورة صادقة عن حال الشاعر التى يعاني منها، وكأن الأمل الذى كان فى نفسه معقودا قد تبدد وانقطع ، فهى ألفاظ حزينة مبكية تدفع الأسى والحزن إلى قلوب سامعيها.

أما البيت السابع والذى قلنا عنه إنه يحكى أيام الوصل والفراق معا فهو تجسيم لنهاية المشهد الحزين والذى يقول فيه :

وقد نكون ومايُخشى تفرقـنا ٠٠ فاليوم نحن وما يرجى تلاقـينا

يصور صدمة نفسية وعصبية فبعد أن كان فى وئام وحب إذ به يتبدل حاله إلى قسوة وبعد وفراق ، وكأنه كان لايتصور مجىء هذا اليوم، لكنه الآن يعيش فيه.

ففى قولـه (وقد نكون) وفى قولـه (فاليوم نحن) نلحظ تضادًا ، لأن الجملة الأولى إشارة إلى الماضي بدليل قوله بعدها فاليوم نحن وهو إشارة إلى الحاضر ، فَفِعْل الكينونة فى (وقـد نكون) يدل على زمن الماضى على الرغـم من مجيـئه على صورة المضارع ، فهو بمعني كنا لأن المضارع لا يدل على وقوع الحدث فى زمن الحاضر أو المستقبل وحسب وإنما يدل على وقوعه فى زمن الماضى أيضا"(١).

يقـول الأستاذ حامد عبد القادر: " لقد شاع بين الدارسين لقواعد اللغة العربية أن علماء النحو يقرون أن الفعل المضارع صالح لأن يراد به وقوع الحدث فى الحال أو المستقبل ، وأن بعض أدوات معينة تجعله خاصا بالحال، وأن أدوات أخري تجعله خاصا بالمستقبل .

٠٠٠٠ ولكننا إذا درسنا استعمال هذا الفعل فى اللغات الحديثة ومنها اللغـة العربية وجدنا أن سياق الكلام أو القرائن اللفظية أو المعنوية ترشدنا إلى أن المضارع يدل على أزمنة أكثر من الحال أو المستقبل "(٢) .

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص٨٢.

(٢) معانى المضارع فى القرآن الكريم للأستاذ حامد عبد القادر ص١٥٠ مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الثالث عشر ١٩٦١م.

ونـرى أيضا مقابلة بين (يخشى تفرقنا) وبين (يرجى تلاقينا) فقد أوضحت هذه المقابلة المعنى بجمعها بين شيئين متوافقين ثم بما يقابلهما على الترتيب[1].

فقـد ذكر يخشى ثم فى المقابل يُرجـى ، وذكر تفرقنا وفى المقابل تلاقينا وهذا مما يزيد المعني قبولا وحســنا.

فالجملـة الأولي تعبر عن أيام الوصل ، فلا أحد يخاف التفرق والجملة الثانية تعبر عن أيام الفراق ، فلا أحد يرجو اللقاء فالبيت كله كناية عن الحزن والأسى على أيام الوصل التى حظى بها الشاعر، وأعقبتها الفرقة الأبدية فهو يائس قانط .

ولذلك فالشاعر أكد الشطر الأول بقد وهـو المعنى الذى يدل على أيام الوصال رغبة فى تأكيد المعنى ، وترك التوكيد فى الشطر الثاني ، وكأنه كان لا يرجوه ولا يريـده .

---

(١) بغيـة الإيضاح ٤/ ١٣.

(ب) عتـاب ووفـاء

٨ـ ياليتَ شعرى ـ ولم نعتبْ أعاديكم ٠٠ هل نال حظًّا من العُتْبَى أعادينا؟(١)

٩ـ لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكـم ٠٠ رأيًا ولم نتقلد غيره دينـا

١٠ـ ماحقنا أن تقروا عيْن ذى حسدٍ ٠٠ بنا ولا أنْ تسرُّوا كاشحاً فينا(٢)

المعـنى الإجمالى :

لا زال الشاعر متمسكا بحب (ولادة) معاتبا لها على قطيعتها، قائلا لها لماذا البعد والفراق مع أنى لم أرْض الأعادى بعد فراقكـم ؟

وهـل أخذ الأعداء قسطا من الرضا بعد الذى حدث ؟ أعتقـد لا .

مع أنى لم أفرِّط فى حبكم، فأنا دائم الوفاء والارتباط بل والتأبد فى عاطفتى، ولايمكن لى أن أتخذ خليلا غيركم ، فأنتم بالنسبة لى عقيـدة ودين لا يمكن التحول عنه ، فلماذا تقروا أعين الحساد لنا ؟ وهذا الهجر ما كان منتظرا منكم ، ولم يستفد الأعداء شيئا منه يُسعد قلوبهم الحاقدة، فينبغى ألا تُشْمتوا بى الأعداء ولا تَسُـرُّوا نفوسهم الحاقدة.

التحـليل البلاغـي:

يبدأ الشاعر أبياته هذه بأسلوب إنشائى لينبه المخاطب إلى ما سيأتى من الكلام ثم يكرر الأسلوب الإنشائى متمثلا فى الاستفهام معاتبا ومستعطفا بأن الأعادي قد يسرون بهذه القطيعة فلماذا تقرون أعينهم ؟.

---

(١) نُعتْب: أعتبه: أى أرضاه بعد العتاب ـ العُتْبى : الرضا، يقال: يعاتَبُ من تُرجى عنده العتبى.

(٢) ماحَقُّنا: ليس من المنتظر منكم لنا ـ الكاشح : المضمر للعداوة وكأنه يطوى كشحه عليها والكشح هو ما بين الخاصرة والضلوع .

(انظر معاني هذه الكلمات فى لسان العرب لابن منظور كل كلمة تحت مادتها).

والاستفهام ـ كما نعلم ـ يجذب الاسماع ويشد إلى معرفة الإجابة ، وهذا ما قصده الشاعر بأن يوقظ المحبوبة من غفوتها علَّها تعود إليه.

ونلحـظ التضاد بين قولـه (لم نعتب أعاديكم) بمعنى لم نرضهم، وقولـه (نال حظا من العتبى أعادينا) بمعنى : أعتبتم أعادينا أى أرضيتموهم ، لأن الاستفهام هنا يفيد الدهشة والتعجب من هجر محبوبته إياه، وتشميتها حساده به ، فوق ما افاده من الاستعطاف والعتاب كما أسلفنا[1] .

ويأتى البيت الذى بعده متمثلا فى الأسلوب الخبرى الذى يعتبر تقريرا وتأكيدا لما سبق من كلامه، نافيا أن يعتقد أحدا غير المحبوبة، وقدم ـ بعدكم ـ للإسراع إلى أداء المطلوب ، ونفيا لما قد يفهم من تأخير هذا اللفظ بأنه لم يعتقد إلا الوفاء لغيرها ، فالتقديم نفى هذا الفهم ، ثم أكد بالجملة التى بعد ذلك وهى أنه لم يتقلد دينا غير الوفاء بعهده بعدهـم .

ثـم يسوق أسلوبا تعجبيا بأنه لا ينبغى بعـد هذه الأيام التى وصلنا بعضنا فيها أن تقروا عين الحساد ، ولا أن تُشمتوا بنا الأعداء، وفى هذا الأسلوب التعجبى لوم واستعطاف للمحبوبـة حتى تعود إلى سابق عهدها معه.

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص ٩٧ .

(ح) بقـاء على العهد

١١ـ كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه ٠٠ وقد يئسنا فما لليأس يغرينـــا[١]

١٢ـ بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحـنا ٠٠ شوقا إليكم ولا جفت مآقـينا[٢]

١٣ـ نكاد ـ حين تناجيكم ضمائرنا ٠٠ يقضى علينا الأسى ، لولا تأسينا[٣]

١٤ـ حالت لفقدكم أيامنا فغـــدت ٠٠ سودًا وكانت بكم بيضاً ليالـينا

١٥ـ إذْ جانبُ العيش طلق من تألفنا ٠٠ ومربع اللهو صاف من تصافينا[٤]

١٦ـ وإذ هصرنا فنون الوصْل دانية ٠٠ قطافها فجنينا منه ما شـــينا[٥]

١٧ـ ليسق عهدُكم عهدُ السرور فما ٠٠ كنتم لأرواحـنا إلا رياحـينا

١٨ـ لا تحسبوا نأيكم عنا يغـيرنا ٠٠ إن طالما غير النأىُ المحـبينا[٦]

١٩ـ والله ما طلبتْ أهواؤنا بـدلاً ٠٠ منكم، ولا انصرفت عنكم أمانينا

٢٠ـ ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا ٠٠ ولا اتخذنا بديلا منكِ يسلـينا[٧]

---

(١) عوارضه: بوادره أو ظواهره ـ يغرينا : يزيدنا شوقا.

(٢) بنْتم وبنا: بعدتم وبعدنا ـ جوانحنا: الجانحة: الضلعُ القصيرة مما يلى الصدر والجمع جوانح ويقصد بها ابتل القلب : ماهدأ من شوقه إليكم ـ المآقى : العيون.

(٣) تناجيكم : تخاطبكم وتحدثكم ـ الأسى : الحزن ـ تأسينا : تعللنا بالآمال.

(٤) مربع اللهو : ملعبه ـ تصافينا : الصفاء والود الذى بيننا.

(٥) هصرنا : جذبنا وشددنا ـ فنون الوصل : أنواعه وضروبه ـ ماشينا : ماشئنا.

(٦) نأيكم : بعدكم وفراقكـم ـ إن طالما : كثيرا ما.

(٧) خليلا : صديقا ـ يُسْلينا : يقلل من حزننا ويهونه علينا.

وهذا البيت لم يرد فى نسخ الديوان ، وهو مثبت فى القلائد والخريـدة.

(انظر معاني هذه الكلمات فى لسان العرب كل كلمة تحت مادتها).

المعــني الإجمالــي:

يقــول الشاعر: إنه كان يرى اليأس ليستريح من حزنه عليها ، ولكن يأسه زاده شوقا على شوق وحنينا على حنين ، ولقد حدث البعد فما هدأت قلوبنا وما استكانت ولا جفت دموعنا من البكاء عليكم نكاد ـ حينما نناجيكم بضمائرنا ـ يهلكنا الأسى لولا تصبرنا وتماسكنا فقد تحولت أيامنا سودًا بعد فراقكم وكانت أيام وصلكم الليالى بيضا، وكان جانب العيش بهيج من تألفنا وقربنا وملعب اللهو صاف من ودنا وعندها تجاذبنا أنواع الوصل وكانت قريبة منا قطافها ، فجنينا منه ماأردنا ودعـا لعهد الود والوصال بأن يسقى فهو جدير بالسقيا ، فقد كنتم رياحينا لأرواحنا .

وأراد أن يبث لها شعوره وإحساسه فقال لها لا تظنين أن البعد سيغيرنى فأنا متمسك بحبك مهما بعدت ، ولست مثل غيرى يمكن أن يغيره النأى والبعد ، ثم يقسم لها بأن قلبه وهواه ما طلب بدلا منها ، ولا انصرفت أمانيه عنها ، وفى هذا تمسك قوى بها وإقناع لها بأنه لا يزال على عهده معها، وأيضا لم يضف خليلا إلى نفسه ليشغل به عنها فما هذا دأبه ولا اتخذ بديلا عنها يسليه عنها وينسيه حبها.

التحليل البلاغــي :

البيت الأول جاء فى أسلوب خبرى ليعلمنا حاله وماذا صار إليه، فالفعل يئسنا يدل على الحاضر على الرغم من دخول قد عليه ، لأن اليأس واقع بعد الفراق وكأنه يقول : وإننى لأيئس من حبها وكلن اليأس يغرى بها[1]

---

(١) انظر دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون للدكتور ناصر على عبد النبى ص٣٨.

ونـرى استعارتين بالبيت فى قولـه : اليأس تسلينا عوارضه ، وقولـه: فما لليأس يغرينا ، فقد شبه اليأس بإنسان وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهـو تسلينا عوارضه ، ويغرينا على سبيل الاستعارة المكنية ، وفيها تشخيص وإيحاء وتجسيم ، وكأنه ينطق اليأس ويحركه وفى هذا من البلاغة ما يجعلنا نحرك أذهاننا ، ونستقبل الكلمات بيقظـة وانتباه.

وهناك فى البيت الثاني عشر نجد الأفعال بنتم وبنا ، وابتلت وجفت تدل على الزمن الحاضر ، وإن كان فى ظاهرها أنها ماضوية ، لأن الشاعر يشير بقولـه : بنتم وبنا إلى الفراق ، والفراق يمثل حاضره ، ويشير بقولـه ماابتلت جوانحنا ، ولا جفت مآقينا إلى ما يتملكه من حزن وأسى للفراق، وكل ذلك قائم لم ينته زمن نظمه للقصيدة .

والبيت أسلوبه خبرى ابتدائى لذا جاء خاليا من التوكيد لأن المخاطب خالى الذهـن من الحكم بأحد طرفى الخبر على الآخر والتردد فيه(١)

وفى التعبير بـ (ابتلت جوانحنا) مجاز مرسل علاقته المحلية، فقد عبر بالمحل وهى الضلوع وأراد الحال فيها وهو القلـب وفى هذا إيجاز كما نعلم فبدلا من أن يقول ابتلت قلوبنا التى بين جوانحنا اختصر واكتفى بهذا التعبير، وكذا فى قولـه (جفت مآقـينا) مجاز مرسل علاقته المحلية فقد عبر بالمآقى وهى العيون وأراد الحال فيها وهى الدموع أى: جفت دموعنا، وفى التعبيرين كنايتان عن الحزن الشديد والأسـى العميق .

---

(١) انظر بغية الإيضاح ١/ ٤٥.

ثـم يبالـغ ـ فى البيت الثالث عشر ـ فى بيان حاله وأنه يكاد يقضى عليه عند مناجاة المحبوبة لولا التصبر والتعلل باللقاء ، والذى قرب هذه المبالغة لفظ (نكاد) فقد قربـت المبالغـة إلى الصحة.

وفـى قولـه (تناجيكم ضمائرنا) عبر عن مناجاة الإنسان لأخيه بمناجاة الضمير وهو أقوى وفيه دلالـة على أنه يضمر الحب للمخاطبة ، وأيضا فيه استعارة مكنية ، فقد شبه الضمير بإنسان وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو (تناجيكم) وهذا ما يجعلنا نرى الضمير محسوسا مجسما بدلا من أنه معنوى.

وفـى قولـه (يقضى علينا الأسى) استعارة مكنية أيضا ، وفى هذا التصوير يبين لنا أن الأسى أصبح وحشا كاسرا يريد أن يقضى عليه وهذا تشخيص وتجسيم وإيحاء وهذا هو غرض الاستعارة.

وفـى البيت الرابع عشر يخاطبها بقوله : (حالت لفقدكم أيامنا) وفى هذا التعبير نجد استعارة ، فقد شبه الأيام بشىء يمكن أن يتحول وهو الشىء الحسى ولكن الأيام لا تتحول ، فلذا أصبحت سودًا بعد أن كانت بيضا لياليهم ، والفعلان (حالت وغدت) يدلان على الحاضر وإن كان لفظهما يدل على الماضى ، لأنهما يشيران إلى أيام الفراق التى يعيشها الشاعر[1] .

ونلحـظ الطباق بين قولـه (أيامُنا) وقولـه (لياليا) وبين قولـه (سودا وبيضا) وفى هذا ما يضفى على المعنى حسنا وبهاءً، وكذا نجد طباقاً بين

---

(١) انظر دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص٣٨.

(غدت وكانت) للتضاد ويمكن أن نلحظ طباقا أيضا بين قولـه(لفقدكم) وقولـه (وكانت بكم).

فالمعنى : حينما افتقدناكم أصبحت الأيام سوداء، وحينما كنا حضورا معكم كانت الليالـى بيضاء ، ولنا أن نستشف قوة حبه حينما جعل الليالى السوداء قد تحولت إلى بيضاء ، وأن الأيام بنهارها وليلها قد تحولت إلى سوداء مظلمة لفقد المحبوبة ، وفى هذا ما يدلنا على شـدة حبه وصدق عاطفته نحوهـــا .

ويكمـل وصفه لأيام الوصال فيقول فى البيت الخامس عشر إن الحياة كانت رغيدة وجانب العيش طلق من تآلفهما، ومربع اللهو أى ملعبه ومكانه صاف من صفاء قلوبهما ونقائها ، فالبيت كناية عن الحياة الهادئة الناعمة والتى لم يعكر صفوها حزن ولا ألم .

وهناك مراعاة نظير بين قولـه (طلق وصاف) حيث جمع بين أمر ومايناسبه لا بالتضاد"، وكذا بين قوله (تألفنا وتصافينا) مراعاة نظير لما أسلفنا.

والبيت الذي بعده يكمل أنواع المتعة بالوصال حيث يذكر، وإذ هصرنا ، أى: إذا جذبنا وشددنا فنون الوصل قريبة دانية قطافها فجنينا منه ماشينا حيث يكنى عن الحياة الرغيدة الحلوة بالتجاذب لكل أنواع الوصل التى أصبحت دانية قطافها فجنى منها ما أراد وما شـاء.

ففى قولـه : هصرنا استعارة حيث شبه الوصل بشىء حسى يمكن أخذه وتملكه وقوى هذه الاستعارة ورشحها بأنها دانية القطاف وجنيها سهل فقد جنى

---

(١) انظر بغيـة الإيضاح (٤/ ١٦).

ما أراد ، ولك أن تتخيل لفظ (ماشينا) ودلالته على فعل كل شىء يمكن أن يفعلـه مُحبان.

ثـم يدعو لهذا العهد الذي كان يسره ، فقد كانت محبوبته تشبه الريحان لروحه ، فالفعل يسقى فى قولـه (ليسْق عهدكم) يدل على الحاضر والمستقبل ، لأن الشاعر يدعو لأيام الوصال بالسقيا ، ولا يعقل أن يكون الدعاء مقصورا على الحاضر فقط[1] .

وفعـل الأمر فى أول البيت الذي معنا (ليُسـق) يدل على طلب الفعل فهو يطلب السقيا للعهد الذي عاشه معها فهى لم تكن إلا ريحانة لروحه وبين (أرواحنا، رياحينا) ما يسمى بالملحق بالجناس وهو أن يجمع بين اللفظين الاشـتقاق[2] .

وفيه أيضا التشبيه فقد شبه المحبوبة بأنها ريحانة لروحه ووجه الشبه هو الرائحة الطيبة وما يستتبعها من نشاط عند اشتمامها.

والأبيات الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر تدل على أيام الوصال كما أسلفنـا.

وفى البيت الثامن عشر يبدأ الشاعر بالنهى عن أن النأى سيغيره ، مهما غير النأى كثيرا من المحبين فهو إنسان من نوع خاص يحتفظ بوده وإخلاصه ولا يتأثر بما يحدث من تغيرات الزمان .

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص ٤٩ .

(٢) وهو أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهما فى المعنى. انظر بغية الإيضاح ٤/ ٨٥.

والنهـى هنا خرج عن معناه الذي هو طلب الكف عن الفعل استعلاء إلى معنى الالتماس إذ فيه طلب كف لا على وجه الاستعلاء والعلاقة الإطلاق(١).

والبيت كنايـة عن البقاء على العهد وصون العلاقة القائمة بينهما ونلحـظ تضادا بين شطرى البيت ، إذ يمثل كل شطر منهما ضدا ، الأول دوام الحب لها والثانى انقطاع حب غيره بسبب البعد عن محبوبته ثـم يقول بعد ذلك : والله ما طلبت أهواؤنا بـدلا ...

فيصدر البيت بالقسم ليؤكد لها دوام حبه ويدلل على ذلك بأن هواه لم يطلب بدلا منها، ولا انصرفت أمانيه عنها ، فهو بذلك يستميل قلب محبوبته، فهو كناية عن صفة الاستمرار على العهـد.

ونرى التعبير بالماضى فى قوله:طلبت،وانصرفت ليدل على الثبوت والاستمرار كما نـرى التعبير بأهوائنا والمقصود بقلوبنا ففى التعبير مجاز مرسل علاقته الحالية إذ عبر بالحال وهو الهوى ، وأراد المحل وهو القلب وفى هـذا إيجاز واختصار.

كمـا نلحظ فى : (طلبت أهواؤنا) وفى (انصرفت أمانينا) استعارتين مكنيتين إذ شبه الأهـواء والأماني بأشخاص وحذفها وأبقـى لازما من لوازمها وهو الطلب والانصراف ، وفى هذا إيحاء وتشخيص ومبالغة وتخييل، كما هـو الشأن فى الاستعارة.

---

(١) الإيضاح فى علوم البلاغة للقزوينـى ٣/ ٩٧.

ويكمل المعنى الذي قصد إليه وهو استدامته على التمسك بحبها فيقول فى البيت العشـرين .

ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا ٠٠ ولا اتخذنا بديلا منك يسلـينا

فالبيت كناية عن الثبات والدوام والبقاء على عهده معها وحبه لها ونلحظ جناسا بين (خليلا) وبين (بديلا) جمل اللفظ وحسـنه.

والتعبير بالماضى فى قولـه (ولا استفدنا) وقولـه (ولا اتخذنا) للدلالة على عدم تغيره، وعلى ثباته على مبدئه من الحب والارتباط بها.

كما أن التعبير بالمضارع فى قولـه (يشغلنا) وقوله (يسلينا) جاء به الشاعر ليدل على الحدوث كما هو الشأن فى المضارع إذ أراد أن يطمئنها على أنه لن يوجد من يحـل محلها فى قلبـه ولا مـن ينسيه حزنه عليها.

وأسلـوبه خبرى هادئ نقل إلينا أحاسيسه ومشاعره الحزينة ليقفنا على مـدي حزنـه وتأثـره بالفـراق.

(د) مناشدة الطبيعة إبلاغ حبه لها

٢١ـ ياسارى البرق غاد القصر واسق به ٠٠ من كان صرف الهوى والود يسقينا[١]

٢٢ـ واسأل هنالك هل عنى تذكـــرنا ٠٠ إلفا تذكـره أمسى يعنيـــنا؟[٢]

٢٣ـ ويانسيم الصبا بلغ تحيـــتنا ٠٠ منْ لو على البعد حيى كان يحيينا[٣]

٢٤ـ فهل أرى الدهر يقضينا مساعفـة ٠٠ فيه وإن لم يكن غبا تقاضـــينا[٤]

المعـــني الإجمالي:

ينادي الشاعر البرق السارى ليلا فيقول له : بكر بسقيا القصر ومن تسكنه والتى كان تمنحنا خالص الهوى والود وتسقينا إياه ، وهذا دعاء لها بالسقيا كعادة بعض الشعراء ، واسأل أيها البرق هنالك هل آلم تذكرنا هذه المحبوبة وأتعبها ، كما أن تذكر الحبيب منا أمس يؤلمنا ويتعبنا ؟

ويا نسيم الصبا عليك أن تبلغ تحيتنا إلى هذه المحبوبة التى بعدت عنا فلو أنها حيتنا لأحيتنا على الرغم من بعد مكانها عـنى.

ويتمنى الشاعر أن يسعفه الدهر بوصال طالما تقاضيناه ، وهل يسمح الدهر به بعد طول المطال ؟ ليت هـذا يحـدث.

---

(١) سارى البرق: المراد منه السحاب يسرى ليلا ـ غاد : باكر أول النهار ـ صـرف الهوى : خالصه.

(٢) عنى : آلم وأتعب ـ إلفاً : صديقا وحميما ـ يعنينا : يؤلمنا ويتعبنا.

(٣) حي : أرسل إلينا تحيته ـ يحيينا : أى : يبعث فينا الحياة والأمل بعد فقده.

(٤) مساعفة : يقال : أسعف فلان فلانا بحاجته: أى قضاها له ـ غبا: مقلا يقال: فلان يزورنا غبا أى : مقـلا من زيارتـــه ٠ (انظر لسان العرب كل كلمة تحت مادتها).

التحليل البلاغـــي:

يبدأ ابنُ زيدون أبياته هذه بنداء مالا يعقل وهو البرق ويرجو منه أن يسقى قصر محبوبته والتى كانت تمنحه الحب الخالص والود الصافي فتسقيه له.

وفي هـذا ـ على الرأى الراجح ـ استعارة مكنية فقد شبه مالا يعقل وهو البرق بما يعقل ثم حذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وهو (يا) الموضوعة لنداء العقلاء ، وفى هذا تشخيص وتجسيم ومبالغـة.

وفى قولـه: (من كان صرف الهوى والود يسقينا) استعارة مكنية فقد شبه الهوى والود بسائل يشرب وذلك لجماله وحسنه ثم حذف المشبه به وأتى بلازم من لوازمه وهو يسقينا ، وفى هذا من التخييل والمبالغة مالايخفى.

ثـم يستنطق السحاب فيأمره بأن يسأل المحبوبة هل أتعبها وآلمها التذكر؟ كما أن تذكره لها يتعبه ويؤلمه حينما يذكرها فى المساء ، وهذا أيضا استعارة مكنية فقد شبه السحاب بإنسان وحذفه ورمز له بلازمـه وهو أن يسأل غيره.

وقـد رتب السؤال على السقيا ، وكأنه يريد أن يعرفنا بأنه لابد أولا من السقيا حتى تستريح نفسيا وتهدأ ثم يسألها بعد أن هدأ حالها لعلها تجيب إجابة شافية لروحـه.

والفعل عنى وإن كان يدل على الماضي بوضعه ، لكن معناه هنا الحاضر، لأن الشاعر يعاني فى الحاضر بسبب الفراق ، ويتساءل : هل تعاني محبوبته كما يعانـي هو ؟

كمـا أن الشىء يعرف بضده ، فكما أن هذا الفعل الماضي فى صورته دال على الحاضر كذلك نلحظ الفعل (يسقينا) والذي هو مضارع فى صورته ، يدل على الزمن الماضي ، لأنه يشير إلى أيام الوصال فى الماضي حيث الهوى والود بينه وبين محبوبته ، ويرتبط الفعل (يسقى) بالفعل (كان) لأن التقدير : من كان يسقينا صرف الهوى والود والتعبير هنا للدلالة على الاستمرار.

وهناك تضاد بين قوله (هل عنى تذكرنا إلفا) وقوله (تذكره أمسى يعنينا) وذلك لأن الأول معناه (لم يعن) فالاستفهام يفيد النفى . والتضاد يظهر حسن المعنى ويوضحه.

ثـم ينادي الشاعر نسيم الصبا ويأمره بأن يبلغ تحيته إلى محبوبته، وفى هذا كما يظهر استنطاق مالا ينطق وجعل من لا يتكلم يتكلم ، وفى الأمر له بالابلاغ استعارة مكنية فقد شبهه بإنسان عاقل يمكن له أن يبلغ غيره ثم حذفه واكتفى بلازم منه وهو (بلغ) والشطر الأول إنشائى حيث أتى فيه النداء والأمر للتيقيظ والاهتمام ، أما الشطر الثاني فهو خبرى فيه معنى التمنى حيث يتمنى الشاعر أن تحييه المحبوبة وبذلك تكون قد أحيته من يأسه وقنوطه، ويكون المعنى : ألا استطاع أن يحيينا من بعده فكان قد أحيانا من نومنا وقنوطنا ويأسنا .

ونلحـظ بين (حيى) وبين (يحيينا) جناس ناقص بين فعلين أحدهما ماض والآخر مضارع ، والجناس ـ كما نعلم ـ من المحسنات اللفظية التى يرجع

فيها الحسن إلى اللفظ أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قـد يفيد تحسين المعنى أيضا[١] .

فقـد زاد اللفظ تحسينا بعد بناء البيت معنويا فأكمل الحســن.

وينقل الشاعر إلى البيت الأخير والذي يبدؤه باستفهام خرج عن معناه الحقيقى إلى معنى مجازي هو (التمنى) هنا بمعني ياليت الدهر يسعفه ويقضى حاجته ، وكما نعلم أن التمنى فى هذا الموضع لإبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن[٢]، وذلك مثل قولـه تعالى : (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)[٣] .

وبذلك يربـط الشاعر آخر كلامه بأولـه فى الاستشفاع بالبرق السارى، وبنسيم الصبا، وبالدهر حتى يعينه كل هذا على قضاء حاجته وهو الوصل بمحبوبته ولا يخفى ما فى قولـه (الدهر يقضينا مساعفة) من الاستعارة المكنية التى تخيل لنا الدهر شخصا يتحرك وهو يطلب منه مساعدته فى قضاء حاجتــه.

---

(١) انظر بغية الإيضاح ٤/ ٣ .

(٢) انظر بغية الإيضاح ٢/ ٣٣.

(٣) سورة الأعراف من الاية ٥٣.

(هـ) تميز المحبوبـة عن غيرها

٢٥ ـ ربيب ملك كأن الله أنشـــأه ٠٠ مسكا وقدر إنشاء الورى طـــينا[١]

٢٦ ـ أوصاغه ورقا محضا وتوجـه ٠٠ من ناصع التبر إبداعا وتحسـينا[٢]

٢٧ ـ إذا تأود آدتـــه رفاهـــية ٠٠ توم العقود وأدمته البرى لـــينا[٣]

٢٨ ـ كانت له الشمس ظئراً فى أكلته ٠٠ بل ما تجلى لها إلا أحايـــنا[٤]

٢٩ ـ كأنما أثبتت فى صحن وجنته ٠٠ زهر الكواكب تعويذاً وتزيـــنا[٥]

٣٠ ـ ماضر أنْ لم نكنْ أكفاءه شرفاً ٠٠ وفى المودة كاف من تكافـــينا[٦]

المعـني الإجمالي :

يريد شاعرنا أن يعلل شدة تعلقـه بمحبوبته ، ويظهر لنا أكثر من سبب فيقول: يكفى أنها سليلة بيت ملك وكأنها مع أصلها هذا قد أفردها الله بميزة عن بقية الناس فجعلها من مسك ، وجعل بقية الخلق من طين ، أو أن الله قد صاغها لجينا خالصا فوجهها يتلألأ بياضا وجمالا وتوجها بشعر ذهبى كأنه

---

(١) ربيب ملك: سليل بيت ملكى عرف هذا البيت بالعظمة والاحترام ـ الورى : الخلق.

(٢) ورقا محضاً: فضة خالصة ـ ناصع التبر: الذهب اللامع، ويقصد به شعرها أنه ذهبى اللون.

(٣) تأود: تمايل ـ آدته: أثقلته وأتعبته ـ توم العقود : عقود مزدوجة من اللؤلؤ والحلي والتوم: جمع تومة وهى الحبة من الفضة ـ أدمته: أسالت دمه ـ البرى: الخلاحيل جمع برة.

(٤) الظئر: الحاضنة أو المرضعة على التشبيه ـ أكله : جمع كلة وهى نسيج رقيق للوقاية من البعوض.

(٥) زهر الكواكب : النجوم المشرقة ـ تعويذاً : التعويذة هى الرقية من الحسد.

(٦) أكفاءه : جمع كفء وهو النظير والمثيل ـ وفى المودة كاف: تكفى أن تكون المودة صلة إن لم نكن أكفاء (انظر لسان العرب كل كلمة تحت مادتها).

من تبر وفى هذا الإبداع والحسن الكامل، ومما زاد فى حسنها أنها إذا تمايلت تراها ترفل فى نعيم الرفاهية فقد أثقلتها العقود المزدوجة من الحلى واللؤلؤ، حتى إن الخلاخيل قد أسالت دمها من ثقل حملها ، وهذا يدل على غناها الفاحش.

وهـى من شدة رفاهيتها كأن الشمس تحتضنها فهى تنوم الضحى لها من يقوم بخدمتها وعليها الأغطية الرقيقة المانعة لها من البعوض ، وهذا تشجيع لها على الاستمرار فى النوم حتى طلوع الشمس ، وربما لا ترى الشمس إلا بعض الأحيان.

وهـى من شدة جمالها فكأن النجوم الزواهر قد أثبتت فى وجهها ، فوجهها يبهر الناظرين ، ومن ثم كانت هذه النجوم واقية لها من الحسد فهى كالتعويذة الموجودة على وجنتها.

وكيف للشاعر أن يكون فى مثل شرفها وعزها ـ على هذا الوصف الذي قدمه لنا ـ فهو يعترف بأنه لا يكافئها ، ولكن تكفيه المودة والصلة لتجلعه جديرا بحبها ، خليقا بوصلها واستمرار علاقته بها.

التحليل البلاغـي :

يبدأ الشاعر حديثه عن (ولادة) فيقول : ربيب ملك بصيغة الإخبار عنها بخبر مبتدؤه معلوم ، والتقدير (هى) وحذف المسند إليه هنا يفيد ترك العنان لفعل السامع حتى يتخيل هذه الأميرة فى كل ما يتراءى على مخيلته ، من صور باهرة تتناسب مع سليلة الملوك ، وتختص بها دون غيرها والعبارة كناية عن صفة هى الغنى والعز والشرف .

ثـم يثنى بالتشبيه المتصف بالمبالغـة فى قوله (كأن الله أنشأه مسكا) فهو يجعلها مسكا خالصا والوجه معلوم وهو الرائحة الذكية ، وفى هذا من التوضيح للمشبه والبيان لحاله مالا يخفى ، وكذلك فى قوله (وقدر إنشاء الورى طينا) يعضد ما ذهب إليه من أنها تتميز عن سائر المخلوقات فهى من المسك وهـم من الطـين .

ونـرى الطباق بين قوله (مسكا ـ طينا) حيث التضاد بين النوعين وربما لا حظنا فى قولـه (أنشأه) الكمال للفعل والإتمام ، وفى قولـه (وقدر إنشاء) عدم الفعل لأنه مقدر ولم يحدث ، وكأنها هنا أيضا سبقت الخلق فى الوجود ، وهذه مبالغة غير محمودة إلا أن الحب صنع فيه هذا الصنيع.

وإذا نظرنا إلى البيت التالي له وجدنا أنه يكمل أوصاف التميز لها غيرها فيقول : وربما صاغها الله من فضة خالصة ـ بعد أن وصفها بأنها مسك ـ وتوج هذا الجمال بشعر ذهبى زاده إبداعا وتحسينا ، وهى صورة حسية بصرية.

فبعد أن أطلعنا على حسبها وقدرها فى البيت الخامس والعشرين أطلعنا على صفاتها فى البيت السادس والعشرين ، ومن ثم فهو ترتيب مقصود من الشاعر ليكشف لنا عن قدر صاحبته وصفاتها.

وفى قولـه (أوضاعه ورقا خالصا) تشبيه كذلك مثل التشبيه السابق (أنشأه مسكا) ولكن يزيد هذا التشبيه على سابقه بتقييد المشبه به بأن جعله تاجا من الفضة الخالصة اللامعة وفى هذا من الإبداع مالا يخفى ، فهو لم يستبق شيئا يوضح محبوبته لنا إلا عبر بـه .

ولنا وقفـة مع استعمال الأفعال فى البيتين السابقين (الخامس والعشرين والسادس والعشرين) فإن الأفعال (أنشأه ـ قدر ـ صاغه ـ توجه) وقد اسندت إلى المولى عز وجل ، وفى إسنادها إلى الله أصبح الزمن ليس جزءاً من هذه الأفعال ، فهى لا تدل على زمن ولو جاءت على صـورة الماضى أو المضارع وكذلك نلحظ التضاد بين (أنشأه مسكا) و (قدر إنشاء الورى طينا) فمسكا من باب المبالغة فى الوصف غير القائم على الحقيقة الواقعية لأن كل الناس خلقوا من طين ، ولذا فهو تضاد بين ضدين لا وجود لأحدهما فى الحقيقة ، والمبالغة الشعرية هى التى أوجدت هذا التضاد وهناك ترادف بين (أنشأ) فى البيت الخامس والعشرين ، وبين (صاغ) فى البيت السادس والعشرين ، فقوله : أنشأه يعنى : خلقه ، وقولـه: صاغه يعنى : خلقـه كذلك[1].

والترادف هنا مرده إلى نسبة الفعلين إلى الله عز وجل ، ووحدة المفعول فيهما، ولذلك يمكن استبدال أحدهما بالآخر دون أى تغير فى الدلالة أو التعدى واللزوم ، فكلاهما متعد إلى مفعولين بنفسه ، اللهم إلا ماكان من ضرورة الوزن ، ومن ضرورة استعمال كل فعل فى السياق الذي استعمل فيه[2] .

والبيتان أسلوبهما خبرى جىء بهما ليؤكدا ما أراد الشاعر من صفات ذكرها لنا عن محبوبته ، ولا يخفى ما للألفاظ المنتقاة من أثر فى جمال المعنى مثل: (ربيب ـ مسكا ـ ورقا محضا ـ ناصع التبر ـ إبداعا ـ تحسينا) كل هذه الألفاظ ساعدت على قبول الكلام وتأكيده فى النفس.

---

(١) انظر لسان العرب مادة نشأ ، ومادة خلق.

(٢) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص ١١٤.

ونمضي مع الشاعر إلى البيت السابع والعشرين لنرى ماذا يقول عن محبوبته ؟

إننا نراه يصفها بأوصاف أخري غير السابقة ، فقد وصف لنا حسبها وقدرها كما وصف بعض مظاهر جمالها ، والآن يصفها بما يزيد من جمالها عن طريق الحركة إذ أنها حينما تتحرك تراها ترفل فى أنواع النعيم فعندما تتمايل لم تطق حمل حليها لرقتها وليونتها حتى إن الخلاليل قد أدمت رجليها من ثقلها عليها ورقتـها هـى.

والبيت كما نرى كناية عن الثراء الفاحـش ، والغنى الزائد ، وقد أعطانا المعنى مصحوبا بالدلـيل.

وفى قولـه (تـأود) وقولـه (آدتـه) ما يعرف بجناس الاشتقاق ، وهو: أن يجمع اللفظين الاشتقاقُ ، أى أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينها فى المعـنى[1] .

وهـذا مما يلحـق بالجناس ويزيد اللفـظ حسـنا وجمـالا .

أما البيت الثامن والعشرون فيتحدث عن حماية الشمس لها، وأنها بمثابة الظئر التى تحافظ على رضيعها وتحتضنه، فالشمس كانت لمحبوبته ظئرا، وهذا تشبيه كما هو واضح ، ووجه الشبه هو الحب والحنو وعدم الإضرار فى كل فالشمس تشبه الظئر فى المحافظة عليها حتى كأنها النسيج الرقيق الذي يحمى من البعوض،وذلك لأنها تنام مترفـة مخدومة لا تستيقظ مبكرة لأن لها من يكفيها شأنها،وهذا كناية عن الغنى ورغد العيش وهذه صورة حسية بصرية.

---

(١) بغية الإيضاح ٤/ ٨٥.

وإن كانت القصيدة قد احتوت على صور جزئية فيما ذكرناه ، فإننا الآن نجد بعضا من الصور البيانية الكلية ، والتى تشهد للشاعر على براعته وخصب خياله.

فها هى الأبيات الأربعـة السابقة (من ٢٥ ـ ٢٨) ترسم لنا صورة كاملة لصفات محبوبته ونمط حياتها ، وكأنه يطلعنا على بطاقة تعارف لها، والصور فى مجملها تنبع من خيال خصب بسيط يستمد عناصر صوره من الواقع الملموس والمشاهد أمامـه[1] .

ونصـل إلى البيت التاسع والعشرين والذي يصف فيه وجنة حبيبته بأنها قد أثبتت فيها زهر الكواكب لتقيها من العين والحسد،وزادتها جمالا وحسنا.

وهنا شبه جمال وجنتها بالكواكب الزاهرة ، ووجه الشبه هو الجمال والحسن، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه وتوضحيه .

ثم ينهى حديثه عن محاسنها وجمالها بأن يتمنى ـ وإن لم يكن كفئا لها ـ أن تستمر علاقتها به ، ويكفى أن تقوم المودة مقام الكفاءة ، فالفعل (ضر) يدل على الزمن الماضى ، لأنه يشير إلى أن عدم كفاءته لها لم تكن سببا فى عـدم وصلها إياه ـ أيام الوصل ـ ووصله إياهـا ، لأن المودة فـوق كل ما يمكن أن يكون بينهما من فروق .

---

(١) معارضة شوقى لنونية ابن زيدون ص ١١٢ .

فهـذا البيت بمثابة الترجى والتمنى بأن يدوم الوصال ، فهو كناية عن الندم على الأيام السابقة ، وأمل فى استمرار الوصال فيما يأتى ، وكأنه يقول لها : إن الحب الصادق لا يعترف بالفـوارق.

(هـ) وصف لذة ايام الوصـال

٣١ـ ياروضة طالما أجنت لواحظـنا ٠٠ وردا جلاه الصبا غضا ونسريـنا[١]

٣٢ـ وياحياة تمليـنا بزهرتهـا ٠٠ منى ضروبا ولذات أفانـينا[٢]

٣٣ـ ويانعيماً خطرنا من غضارتـه ٠٠ فى وشى نعمى سحبنا ذيله حـينا[٣]

٣٤ـ لسنا نسميك إجلالاً وتكرمـة ٠٠ وقدرك المعتلى عن ذاك يغنـينا[٤]

٣٥ـ إذا انفردت وماشوركت فى صفة ٠٠ فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبـيينا[٥]

المعـنى الإجمالي :ـ

يقول الشاعر لمحبوبته أنت كالروضة التى طالما جعلت عيوننا تجنى ورداً أظهره الصبا غضا طريا ناعما ، فقد تكحلت عيونه منها بأجمل الصور وأحسن الورود والأزهار، وأنت الحياة التى تنعمنا وتمتعنا بها صنوفا من المنى، وقد جنينا من نعيم الحياة شتى المتع واللذات ، وتمتع بنعيم توشى فى نعمائه يتيه به فخـرا.

---

(١) أجنت: جعل الشيء يجنى ـ أجنت لواحظنا ورداً : حبلت عيوننا تجنى ورداً ـ جلاه الصبا غضا : أظهره الصبا دقيقا ناعما ـ النسرين : بكسر النون زهر طيب الرائحة.

(٢) تمليـنا : تمتعنا وتنعمنا ـ ضروبا : صنوفا.

(٣) غضارته : سعته ونعمته ـ وشى نعمى : نعمة موشية أى ذات وشى ، والوشى هو الزينة.

(٤) لسنا نسميك : لا نذكر اسمك إكبارا وإعظاما لك .

(٥) إذا انفردت : إذا كنت متفردة بالجمال والحسن ـ حسبنا الوصف : يكفينا أن نذكر أوصافك ٠ (انظر معاني الكلمات فى لسان العرب لابن منظور كل كلمة تحت مادتها).

ثـم يقول ولست أذكر اسمك صونا لك وإجلالا لقدرك وإعظاما لك لأن شأنك وقدرك العالى يغنى عن ذكر اسمك، وإذا كنت متفردة بالجمال ولم يشاركك أحد فى هذه الصفة فإن ذلك لا يحوجنا إلى أدنى إشارة ، والوصف يكفى للإيضاح والتبيين.

التحليل البلاغـى :

إن أول ما يطالعنا فى هذا المقطع من الأبيات هو نداؤه لها بياروضة وهو فى هـذا يشبهها بالروضة الغناء فى أن كلا منهما يريح النظر ويمتع النفس .

وأيضا نجد فى قوله (ياروضة طالما أجنت لواحظنا ورداً) استعارة تصريحية فقد شبه المحبوبة بالروضة ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به ، ثم إن هناك أيضا فى قوله (جلاه الصبا) استعارة مكنية فقد جعل الصبا يظهر ويجلى وهذا من شأن الإنسان وهاتان الاستعارتان أورثتا الكلام حسنا وجمالا لأنهما أظهرتا الشىء المعنوي فى صورة محسوسة ومجسمة ، وهذا من جمال الاستعارة.

وكذلك (حياة) فهو يجعلها مثل الحياة له فى التنعم بمطايبها وزينتها وهذه استعارة تصريحية لأنه حذف المشبه وهو المحبوبة وصرح بالمشبه به .

وأيضا قوله (يانعيما) استعارة تصريحية فكأنه يقول لها أنت النعيم الذي طالما تقلبنا فى نعمائه ، نعما ذات وشى وزينة ، وكأنه بلغ المنى والأمل من الدنيا.

ولا ننسى ما فى قوله (وشى نعمى سحبنا ذيله حينا) من استعارة مكنية فقد شبه النعمى بوشيها وحلاوتها بشىء محسوس ، وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو سحبنا ذيله ، بمعنى أمسكنا بطرفه فرحا وبشرا .ثم حذف المشبه وصرح بالمشبه به .

والأبيات الثلاثة السابقة تعبر عن أيام الوصال كما سبق أن قلنا .

أمـا قولـه (لسنا نسميك) فيسوق له علة فى عدم تسميتها بأن ذلك ليس إنقاصا من شأنها ، ولكنه لصون اسمها عن الابتذال وللتكريم ووصل بين شطري البيت بالواو ، لأن الجملتين خبريتان لفظا ومعنى ، وهذا ما يسمى (بالتوسط بين الكمالين).

ويؤكد ذلك الصون لاسمها بقوله : (إذا انفردت وما شوركت فى صفة) وهذه العبارة علة ثانية لعدم ذكر اسمها فلكونها متفردة فى الصفة أغنى ذلك عن ذكر الاسم وبقى الوصف للإيضاح والتبيين .

والأبيات سيقت للإخبار عن حاله معها وكيف كان ينعم معها بالوصال فهى أبيات خبرية فى معناها ولفظها ، وإن كان بعضها إنشائيا لفظا مثل الثلاثة الأبيات الأول ، فكلها جاءت مخبرة لنا بدون توكيد وهذا ما يسمى بالخبر الابتدائى الذي لا يحتاج إلى مؤكدات لكون المخاطب خالى الذهن فيقع منه الخبر موقع الماء من ذى الغلـة الصادي .

وهكـذا ينجح الشاعر فى نقل أحاسيه ومشاعره لنا حتى أصبحنا نشاركه عاطفته وهذا ما يسمى بالصدق الشعورى ، الذي يعتبر دليلا على وصول الشاعر إلى مأربـه.

ولاننسى ما فى البيت الأخير من ترادف سيق لتأكيد المعنى ويقع هذا بين قولـه (انفردت) وقوله (وما شوركت) وهو ترادف قائم على أساس نفى الضد، وربما كانت فائدة الترادف القائم على نفى الضد هى تأكيد ما يدل عليه اللفظ غير المنفى ، لأن قول الشاعر : انفردت ، يعنى بداهـة أنها لم تشارك فيما انفردت به ، ولكن إتيانه بقولـه : ماشوركت يعنى تأكيد ماانفردت به.

(ز) نـــدم وبكـاء على الفـــراق

٣٦ـ ياجنة الخلد أبد لنا بسدرتـــــها ٠٠ والكوثر العذب زقوما وغسلـــينا[١]

٣٧ـ إن كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففـــى ٠٠ مواقف الحشر نلقاكم ويكفـــينا[٢]

٣٨ـ كأننا لم نبت، والوصل ثالثـــــنا ٠٠ والسعد قد غض من أجفان واشينا[٣]

٣٩ـ سران فى خاطـــر الظلماء يكتمـنا ٠٠ حتى يكاد لسان الصبح يفشـــينا[٤]

٤٠ـ لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت ٠٠ عنه النهى، وتركنا الصبر ناسينا [٥]

٤١ـ إنا قرأنا الأسى يوم النوى ســـورا ٠٠ مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقـــينا[٦]

٤٢ـ أما هواك فلم نعدل بمنهلـــــه ٠٠ شربًا، وإن كان يروينا فيظمـينا [٧]

٤٣ـ لم نجف أفقْ جمال أنت كوكبـــه ٠٠ سالين عنه ولم نهجره قالـــينا [٨]

٤٤ـ ولا اختياراً تجنبناه عن كثـــب ٠٠ لكنْ عدتنا ـ على كره ـ عوادينا[٩]

---

(١) السدر: شجر النبق، والزقوم شجرة خبيثه ذات ثمر مر ، يطعم منها أهل النار، الغسلين ماء حار يسيل من جلود أهل النار، ولايجدون غيره لإرواء عطشهم.

(٢) عز: امتنع وبعد.

(٣) غض : أطبق وأغلق أجفان : جمع جفن وهو غطاء العين.

(٤) خاطر: قلب وضمير ـ يفشينا : يظهرنا ويفضحنا.

(٥) النهى : جمع نهيه والتى هى العقل.

(٦) يوم النوى : يوم الفراق .

(٧) منهلـه : مورده أى الموضع الذى فيه المشرب وجمعه : مناهـل .

(٨) لم نجف : لم نبتعد ـ سالين : ناسين تاركين ـ قالين : كارهين .

(٩) كثب : قرب ـ عدتنا : صرفتنا ـ عوادينا: صروف الزمان ، جمع عادية. (انظر المعاني فى لسان العرب كل كلمة تحت مادتها)

المعـنى الإجمالـي:

يستمر الشاعر فى مناجاة محبوبته ، ويترجم لها عما يكنه لها من حب وإعظام فيقارن بين ما كان ينعم به أثناء وصلها، وما أحسه بعد فراقها ، فهى جنة الخلد أيام كانت معه وقد أبدلت بنبقها وكوثرها العذب بالزقوم والغسلين فى النار، وكأن الزقوم يقابل السدر، والغسلين يقابل الكوثر ، ويالها من مقارنة غير موفقة من الناحية الدينية ، وإن كانت صادقة فى تعبيره عما يحس به بعد الفراق ، وقد ورد ذكر السدر عند ذكر مالأصحاب اليمين فى الجنة، فقال تعالى : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين • فى سدر مخضود• • •)[1] .

كما ورد ذكر الزقوم جزاءً لأهل النار فى قوله تعالى : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم• إنا جعلناها فتنة للظالمين • إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم • طلعها كأنه رءوس الشياطين • •)[2] .

وأيضا ورد ذكر الغسلين كطعام لأهل النار فقال جل ذكـــره :

(فليس له اليوم ههنا حميم • ولاطعام إلا من غسلين • لا يأكله إلا الخاطئون)[3] .

وكأن الشاعر أراد أن يعبر لمحبوبته أنه أخرج من الجنة ، وأدخل النار وبون بعيد بين المكانين ، ثم يسلى نفسه بأنه إذا كان الوصال قد عز وامتنع فى الدنيا فسوف يقابلها يوم الحشر ، ويكفيه هـذا.

---

(١) سورة الواقعة الآيتان ٢٧ ، ٢٨.

(٢) سورة الصافات الآيات (٦٢ ـ ٦٥) .

(٣) سورة الحاقة الآيات (٣٥ ـ ٣٧) .

وشاعرنا مؤمن قد عبر بالجنة والنار وعرف أن الجنة دار الثواب وأن النار دار العقاب ، وأن هناك حشرا سوف يصير إليه وهناك سيقابلها ويكفيه هذا مقابل حرمانه منها فى الدنيا .

ثم يتذكر أيام الوصال حينما كانا يبيتان والوصل ثالثهما ، والفرح والسرور قد أغلق أجفان الوشاة والحاقدين.

ينامان وهما سران فى ضمير الظلام يسترهما حتى يطلع الصبح فيفشى هذا السر ، فلا عجب أن ذكر الحزن حين نهت عنه العقول ، وهذا الحزن قد جر عليهما ألوانا من الأسى أبعدتهم عن الصبر ونسيان الحزن حتى أصبح الصبر خارجا عن إرادتهما ويتلقونه تلقينا .

ثم يعاود عهد الإخلاص لمحبوبته ، وأنه لا يزال على هواها لا يرضى عنه بديلا ولم يعدل بمشربه أى منهل آخر ، وإن كان منهلها يزيده عطشا كلما ازداد منه شربا ، وأنه لم يجفها سلوا عنها ولم يهجرها كارها لها ولكن هذا الذي حدث خارج عن إرادته واختياره وذلك بفعل صروف الزمان التى أجبرته على فراقها على الرغم من قرب دارها منه.

التحليل البلاغي:

إن أول ما يطالعنا فى هذه الأبيات هو قوله : (ياجنة الخلد) ففى هذا القول استعارة تصريحية فقد شبه المحبوبة بجنة الخلد وحذف المشبه وصرح بالمشبه به بجامع النعيم والسعادة والفرح فى كل .

وقوله (بسدرتها) كناية عن الحدائق الغن التى كان يجلس فيها ومعه محبوبته، وكذا قوله (الكوثر العذب) كناية عن ريقها ، وهما كنايتان تعطيان المعنى

مصحوبا بالدليل واللفظان من قبيل الترشيح للاستعارة وفيهما مراعاة نظير أيضا[1]، وكذا نجد فى قولـه (زقوما وغسلينا) كناية عن المرارة وعدم التقبل فى كل ، فحاله أصبح لا يطاق كما أن الزقوم والغسلين لا يطاقان وهو بذلك يعطينا صورة واضحة حية عن حاله معها وحاله بعد فراقها والبيت كله يصلح أن يكون كناية عن تبدل الحال وفى(زقوما ـ غسلينا) مراعـاة نظير كما سبق وقلنا إن بين (السِدرة والكوثر) مراعاة نظير.

وهناك طباق بين قوله (سدرتها) أى سدرة الجنة ، وبين (زقوما وغسـلينا) ولا يخفى ما للطباق من إظهار للمعنى بذكر ضـده.

كما نلحـظ أن هناك طباقين آخرين ، كل منهما تضاد بين ضدين أحدهما مذكور والآخر محذوف يفهم من السياق .

فهناك تضـاد بين (الكوثر العذب) وهو مذكور فى البيت ، وبين (الحميم) وهو ضـد محذوف يفهـم من السياق ، لأن الكوثر العذب هو شراب أهل الجنة ، ويقابلـه الحميم وهو شراب أهل النار.

أما الطباق الثاني الذي ذكر ضد منه ، وضد منه محذوف فنراه فى قوله (جنة الخلد) وهو مذكور ، أما الضد المحذوف والذي يفهم من السياق فهو (نار جهنم) ، لأن السياق يقتضى أن يكون البيت بعد نثره (ياجنة الخلد أبدلنا بسدرتها والكوثر العذب زقوما وغسلينا وحميما فى نار جهنم) وعلى هـذا يقع

---

(١) وهى أن يجمع فى الكلام بين أمر ومايناسبه لا بالتضاد ، وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا (انظر المطول على التلخيص للسعد ص٤٢٠ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.

التضاد بين (جنة الخلد ونار جهنم) وبين (الكوثر العذب والحميم) وبين (سدرة الجنة والزقوم والغسلين)[١] .

ثـم يذكرها بأنه لن ينساها حتى ينتهى أجله بل وبعد ذلك يوم الحشر وهذا ما نراه فى البيت السابع والثلاثين، ونجد البيت كله كناية عن الارتباط الوثيق والتمسك الشديد بحبها إلى ما بعد الموت والحشر ، وفى هذا البيت جرأة واضحة على التمسك بالشىء الغير الطيب ، وكان يمكن أن ينقطع عن هذا بالفراق ، ويحاول الرجعة إلى الله والتوبه ولكنه مصر على المعصية والفعلان (نلقاكم وتلقونا) يدلان على المستقبل ، لأن لقاءه بها ولقاءها به سيكون يوم القيامة كما أن هناك تضادا بين (عز فى الدنيا اللقاء) وبين (فى مواقف الحشر نلقاكم) فهذه مقابلة توضح المعني وتظهره ، فالضد يظهر حسنه الضد.

ثـم يقول فى البيت الثامن والثلاثين (كأننا لم نبت والوصل ثالثنا) وهذا كناية عن قصر مدة الوصل فهو يستقلها ، وكذا نرى فى قوله والوصل ثالثنا استعارة مكنية فقد شبه الوصل بإنسان وحذفه ورمز له بلازم من لوازمه وهو ثالثنا على سبيل التخييل والمبالغـة ، وقد جسم الوصل وجعله شخصا وأوحى لنا بأن شيئا ثالثا كـان معهما .

أما النصف الأخير من البيت فهو قولـه (والسعد قد غض من أجفان واشينا) فهو استعارة مكنية أيضا ، فقد شبه السعد بإنسان له أمر ونهى وحذفه

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص ٩٥.

ورمز له بلازم بعد لوازمه وهو غض بمعنى أطبق وأغلق ويصلح أن يكون كناية عن الستر وعدم الرؤيـة.

والبيت التاسع والثلاثون يبدأ بقولـه (سران فى خاطر الظلماء ، يكتمنا) وهو تشبيه حيث التقدير نحن سران ، فقد شبه نفسه ومحبوبته بالسرين اللذين يعيشان فى ضمير وداخل الظلماء يكتمهما ، ووجه الشبه هو الخفاء وعدم الظهور ، وقوله (خاطر الظلماء) استعارة مكنية حيث شبه الظلماء ، بإنسان يمكن أن يكتم السر ، وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو خاطـر.

ثـم فى قولـه (حتى يكاد لسان الصبح يفشينا) نلحظ استعارة وكناية فالاستعارة فى قوله (لسان الصبح) حيث شبه الصبح بإنسان وحذفه وأبقى لازما من لوازمه وهو اللسان واسنده للمشبه ، وهو قد خيل لنا أن الصبح قد أصبح شخصا يتحدث ويفشى السر الذي كان منكتما، ويفشينا ترشيح للاستعارة وهو كناية عن ظهور الصبح وإزالته لظلام اللـيل .

ولا ننسى ما بالبيت من طباق فبين قولـه (الظلماء) وقوله (الصبح) طباق وكذا بين قوله (يكتمنا) وقوله (يفشينا) طباق ، وفى هذا تحسين للمعنى وتزيين حيث جمع بين الأضداد ، وبضدها تتميز الأشـياء.

ثـم ينتقل إلى البيت الأربعين حيث نرى فيه التعجب من ذكره للحزن حين نهت عنه العقـول مما كان سببا فى الابتعاد عن الصبر ، فهو بذلك يذكر طباقا بين (ذكرنا) وبين (تركنا) ، ويمكن أن نرى ترادفاً فى قوله (ذكرنا الحزن ، تركنا الصبر) والترادف يثري اللغـة ويرينا المعنى فى أكثر من لفـظ

ونـرى كذلك مما يلحق بالجناس وهو المعبر عنه بقولـه : أن يجمعهما المشابهة، وهى ما يشبه الاشتقاق وليس منه[1] ، وهو القسم الثانى مما يلحق بالجناس.

ففـى البيت نرى قولـه : (حين نهت عنه النهى) نجد فنهت، النهى جمعت بينهما المشابهـة فأصبح مما يلحق بالجناس وهو مايضفى على الألفاظ جمالا وحسنا .

ثـم يذكـر الشاعر فى البيت الحادي والأربعين أنه قرأ الأسى يوم النوى سورا مكتوبة ففى قوله (قرأنا الأسى) استعارة مكنية لأنه شبه الأسى بشىء مكتوب تمكن قراءته وحذف هذا الشىء ورمز له بلازم من لوازمه وهو قرأنا وهذا مما يريك الشىء المعنوي حسيا ، وله وقعـه فى النفس.

وفى قولـه (الأسى ٠٠ سور) تشبيه فقد شبه الحزن بالسور المكتوبه التى يتسنى للإنسان قراءتها .

وفى قولـه (أخذنا الصبر تلقينا) استعارة مكنية ، فالصبر لا يلقن ولكن الذي يلقن هو الكلام ، فشبه الصبر بشىء يلقن وحذفه ودل عليه بلازم من لوازمه وهو (تلقينا) وكأنه لقن على الرغم منه فلم يأخذه باختياره، وفى هذا مايشير إلى حزنه العميق على فراق محبوبته.

والبيت الثاني والأربعون نرى فيه الشاعر قد ذكر أن (هواها لم يعدل بمنهله شربا) وهـذا كناية عن التميز والتفرد ، ونجد طباقا بين قوله (يروينا

---

(١) بغية الإيضاح ٤/ ٨٦.

فيظمينا) حيث جمع بين متضادين ، فالإرواء هو الشرب حتى ذهاب الإحساس بالعطش ، والإظماء هو الاحساس بالعطش ، ولكن الإرواء والإظماء فى البيت مجازيان ، لأنهما يتعلقان بمنهل الهوي على سبيل الاستعارة ، ولهذا جاء هذا التضاد على غير المعقول ، لأن الإرواء فى الواقع لا يكون سببا للظمأ أو الإظماء ، وإنما يكون سببا فى ذهاب الظمأ.

وهـو أيضا كناية لا يريد أن يشبع من حبيته ، كلما نهل من معينها إزداد اشتياقا إليها .

ثـم يذهب فى البيت الثالث والأربعين إلى أنه لم يبتعد عن أفق جمال هى كوكبه ، ففى قولـه (أنت كوكبه) تشبيه فقد شبه المحبوبة بأنها كوكب الجمال، فالكوكب جرم سماوى يدور حول الشمس ويستضىء بضوئها.

ووجـه الشبه الاستضاءة فى كل ، وبين قوله (نجف سالين) وقوله (نهجر قالين) ترادف وهو يثرى المعنى ويقويه ، فهو هنا تأكيد لعدم بعده لأجـل النسيان ، ولعدم هجره لأجل الكراهية ، بل البعد لأجل الفراق الذى تركته فيه وحيدا إلا من أحزانه وآلامـــه.

ويؤكـد فى البيت الرابع والأربعين عاطفا معنى البيت على ما قبله فيقول:

ولا اختيارا تجنبناه عن كثب ٠٠ لكن عدتنا ـ على كره ـ عوادينا

يعـنى أن البعد ليس للنسيان ، والهجر ليس للكراهية ، ولا اختيارا تجنبناه على قرب ولكن صرفتنا ـ على كره منا ـ صروف الزمان فهو مجبر على هذا على غرار قولنا : (مكره أخـاك لا بطل) والفعلان (تجنبناه ، وعدتنا) يدلان على

الحاضر ، لأن الشاعر يشير إلى أنه لايتجنب هـوى محبوبتـه رغبة منه فى ذلك ، فالهاء فى (تجنباه) تعود إلى (هواك) فى البيت الثانى والأربعين وإنما يصرفه عن هواهـا أشغال الدهر وصروفه (عوادينا) وقولـه (عدتنا عوادينا) مما يلحـق بالجناس وهو من النوع الأول الذي يجمع فيه الاشتقاق اللفظين"، وهو مما يزيد اللفظ حسنا وبهاء.

(١) بغيـة الإيضاح ٤/ ٨٥.

(ح) دعـوة إلى العودة لسالف عهدها

٤٥ـ نأسى عليك إذا حثـــت مشعشعـة ٠٠ فينا الشمـول وغنانا مغنـــينا[١]

٤٦ـ لا أكؤس الراح تبـــدى من شمائلنا ٠٠ سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا[٢]

٤٧ـ دومى على العهد ـ مادمنا ـ محافظة ٠٠ فالحر من دان إنصافاً كما دينا[٣]

٤٨ـ فما استعضنا خليلاً منك يحبســـنا ٠٠ ولا استفدنا حبيبا عنك يثنـــينا[٤]

٤٩ـ ولو صبا نحونا من علو مطلعـــه ٠٠ بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا[٥]

٥٠ـ أولى وفاءً ـ وإن لم تبذلى صلـــة ٠٠ فالطيف يقنعنا والذكـر يكفـينا[٦]

٥١ـ وفى الجواب متاع إن شفعـت بـه ٠٠ بيض الأيادي التى مازلت تولينا[٧]

٥٢ـ عليك منا سـلام الله مابقـــيت ٠٠ صبابة بـك نخفيها فتخفـــينا[٨]

---

(١) مشعشعة : ممزوجة ـ الشمول : الخمر.

(٢) الراح : الخمر ـ تبدى : تظهر ـ سيما : علامـة.

(٣) دومى : استمرى ـ دان : التزم ـ دينا : التزمنا.

(٤) فما استعضنا : فما وجدنا عوضا ، ويروى : وما استفدنا ، فما ابتغينا.

(٥) صبا : مال ونزل ـ يصبينا : يثير صبوتنا ويبتعث أشواقنا.

(٦)أولى : أظهرى ، ويروى : أبدى ، أبكى ـ الطيف : شبح الشخص .

(٧) متاع : متعة ـ شفعت به : جعلت معه ـ بيض الأيادى: المعروف والصنيع .

(٨) صبابه : هوى وشوق ـ نخفيها : نسترها ـ تخفينا : تقضى علينا.

(انظر لسان العرب فى معاني هذه الكلمـــات).

المعـنى الإجمالـي :ـ

يؤكـد الشاعر صلته بمحبوبته وحبه لها العالق بوجدانه فهى لاتفارقه فى حال من أحواله ، لايصرفه عنها نشوة الخمر ولا لذة الغناء، ولا أكؤس الخمر تغير منن طبعه لا تظهر علامة ارتياح ولا تلهيه الأوتار والمغنون.

ثم يطلب منها أن تستمر على عهده معها محافظة على وده فهو لا يزال محافظا على حبه ، فالحر من التزم الإنصاف ، فهو لم يستعض عنها بخليل يمنعه ولا بحبيب يثنيه ويشغله عنها ، وهو يطمئنها بقوله : ولو مال بدر الدجى من علوه ودنا منى لم يكن يمنعنى عن حبى لك ولا يبعث شوقى إليه ثم يطالبها بإعطاء الوفاء كما أعطاه لها هو ، حتى لو عجزت عن الصلة فإن الوفاء يغنى عن الصلـة وحسبه أن تجود علـيه بطيفها ذاكرة له ، وأن تلبى نداء صبابتـه ففى هـذا إمتاع له وإسـباغ لأيـاد بيضاء اعتادهـا منه، ثم يختم القصيدة بتحية السلام يبعثها إلى محبوبته ما بقى به هوى فى نفسه يحاول أن يكتمه ، مع أن هواه الذي يكتمه كاد يهلكـه ويقضى عليه، وهـذا توسل واستعطاف علها ترق لحاله وتستجيب لنداء عاطفته ، ولكـن هيهات ، فقد انصرفت عنه ، ولم تعد تبادلـه حبه وعواطفـه.

التحلـيل البلاغـى:

البيت الأول والثانى يتحدثان عن حزن الشاعر على محبوبته إذا شرب الخمر، وغنت المغنيات فهو حينئذ يتذكر أيام وصله حين كانت تجلس معه، والآن يجلس وحيدا دونها، لذا فهو حزين ، فلا كئوس الخمر التى يشربها ولا الأوتار تلهيه عنها • وهذان البيتان يعتبران من الكناية عن صفة وهى صفة الحزن وعدم الانسجام وعدم النسيان .

ونـري الفعلين (حثت ، غناها) وإن كانت صورتهما دالة على الماضي، لكن المعنى يدل على الحاضر ، لأن شربه الخمر، وسماعه غناء المغنين لم يكن أيام الوصال فى الماضى ، وإنما كان فى ايام الفراق ، لـذا فهما قد عبر بهما بصيغة الماضى لاستحضار الصورة.

والبيتان وردا بأسلوب خبرى ليسا مؤكدين ، لأنهما سيقا إلى خالى الذهـن فلا يحتاجان إلى توكيد وهـذا ما يسمى بالخبر الابتدائى.

ثـم يطلب منها أن تدوم على العهد بقولـه (دومى على العهد) وهذا أسلوب إنشائى ، خرج فيه فعل الأمر عن حقيقته إلى معنى مجازي هو هنا الالتماس فهو يلتمس منها أن تبادلـه الحب كما كانت ، ويستعطفها حتى تعود إليه ويشفع التماسه هـذا بذكر صفات طيبة ينبغى على صاحبها أن ينفذ مطلوبه فيقول لها : فالحر من دان إنصافا كما دينا ، وفى هذا تحفيز لها على أن تعاملـه كما يعاملها.

وفى التعبير بالفعل (دان) مبنيا للمعلوم ، (دينا) مبنيا للمجهول دلالة على كل الأزمنة لا على زمـن واحد ، لأن العــبارة التى ورد فيها الفعل (فالحر من دان إنصافا كما دينا) تشير إلى خلق إنسانى لا يرتبط بزمن دون زمن ، وهو الوفاء بالعهد ، فالحر أو الوفى هو الذي يفى لمن وفى له ، ويصدق من صدقــه (١).

وقد كرر الشاعر بعض الألفاظ للتأكيد مثل قوله (دومى ـ مادمنا) (دان ـ كما دينا) وذلك لتأكيد مقصوده الذى يهدف إليه فضلا عما يلحظ فى الألفاظ من جناس يزين اللفظ ويجملـه .

---

(١) دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون ص ٤٢ .

ثـم فى البيت الثامن والأربعين يؤكد لها صدق إحساسه ودوام إخلاصه بقوله فما استعضنا خليلا ٠٠٠ وفى رواية : فما استعدنا وكلاهما يؤكد إخلاصه وحبه ، والبيت كناية عن صفة التمسك والالتزام وعدم الميل إلى غيرها.

والفعـلان الماضيان صورة (استعضنا ـ استفدنا) معناهما الزمن الحاضر لأنه ينفى أن يكون له فى الحاضر عوض عن محبوته ، أو امرأة أخري يسلو بها عنها، ويؤكد ذلك سوق الفعلين (يحبسنا ـ يثنينا) مضارعين فهما يدلان على الحاضر ، فالشاعر لم تشغله عن محبوبته امرأة أخرى ، ويعيش حاضره وفيالها .

كما نلحظ ترادفا بين (ما استعضنا خليلا ، لا استفدنا حبيبا) فكلتا الجملتين تدل على عدم استبدال المحب غير حبيبته بها .

وإذا رجعنا إلى البيت التاسع عشر والذى يقـول فيه الشاعـــر:

والله ما طلبت أهواؤنا بدلا ٠٠ منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

نجـد كلمة (بدلا) تتضمن كلمتى (الشمول والمغنى) فى البيت الخامس والأربعين ، وتتضمن كلمتى (الراح والأوتار) فى البيت السادس والأربعين ، وتتضمن كلمتى (خليلا وحبيبا) فى البيت الثامن والأربعين.

إذا فكلمـة (البدل) فى البيت التاسع عشر تتضمن ست كلمات هى (الشمول ، والمغنى ، والراح ، والأوتار ، وخليلا ، وحبيبا) أما وجه التضمن هنا، فإن كلمة البدل تعنى الشىء الذى يحل محل غيره ، ويقوم مقامه، ويكون بمنزلته ،والكلمات الست تدل فى إطار هـذا المعنى ، لأن الشاعر قصد بالشمول

والراح ـ وهما اسمان من أسماء الخمر ـ ألا يكونا عوضا عن المحبوبة من حيث تحقيق المتعة والنشوة ، وكذا الباقى .

فكـل هـذه الأشياء لا تقوم عوضا عن محبوبته ، وبهذا يؤكد الشاعر ماسبق أن ذكـره استعطافا والتماسا علها تحنو عليه وتعود إليـــه.

ولايخفى علينا ما بين لفظى (استعضنا والذى يروى استعدنا ، استفدنا)

من جناس مضارع لا حق وهو : أن يختلف اللفظان فى أنواع الحروف ويشترط الا يقع الاختلاف بأكثر من حرف ، ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمى الجناس مضارعا وإن كانا غير متقاربين سمى لا حقـا[1] .

وهـذا الذي معنا يتبع النوع النوع وهو الذي جاء فيه الحرفان المختلفان متقاربان (استعضنا أو استعدنا ، واستفدنا) وجاء الاختلاف فى الوسط ولا يخفى ماللجناس من تزيين وتحسين للألفاظ.

ثـم يدلل لمحبوبته على مدي صدقة وأنه مهما كانت المغريات فلن يرضى بها بديلا فيقول فى البيت التاسع والأربعين :

ولو صبا نحونا من عُلو مطلعه ٠٠ بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

ففى بيته هذا كناية عن الاستحالة ، وأيضا فى قوله صبا بدر الدجي استعارة مكنية فقد شبه البدر بشىء يمكن نزوله وحذفه ورمز له بلازم من لوازمـه وهـو (صبا) .

---

(١) البغتية ٤/ ٨٣.

وهناك جناس اشتقاق بين لفظى (صبا ـ يصبينا) ، كما أن هناك طباقا بين (صبا علو) لأنهما ضدان ، وفى البيت جملة دعائية جاءت للإطناب فى قوله (لم يكن ـ حاشاك ـ يصبينا) فجملة (حاشاك) جملة دعائية جاءت معترضة للدعاء لها .

وأسلوب البيت خبري سيق بدون مؤكدات لأنه سيق لخالى الذهـن وهو خبر ابتدائى فلا يحتاج إلى تأكـيد.

ثـم يطالبها فى البيت الخمسين بأن تدوم على عهد الوفاء له حتى إن لم تعط صلة فطيفها يقنعه والذكر يكفيه .

ويروى البيت : أبكـى وفاءً بدلا من أولى وفاءً ، وهنا يدلنا على تحسر الشاعر وحزنـه الشديد فهو يبكـى حين يذكـرها ، ولكـن يكون منطوق البيت أبكى وفاءً ، ويقف القارئ، ثم يستأنف فيقول : وإن لم تبذلى صلة فالطيف يقنعنا والذكـر يكفينا.

ولكـن عبارة أولى وفاء أليق حيث لا يحتاج القارئ إلى وقفـة بين ألفاظ البيت.

وهناك ترادف بين الفعلين (الطيف والذكر) وكذا بين الفعلين (يقنعنا ويكفينا).

فالطيف والذكر يعنيان استحضار المحبوبة والتمتع بهذا الاستحضار، مع أن العطف بالواو يقتضى المغايرة ، ولكن ربما كان هذا من باب التعبير عن الفكرة الواحدة بعبارات مختلفة فى اللفظ متحدة فى المعنى.

وكـذا قولـه : يقنعنا ويكفينا ، الفعلان يدوران فى فلك واحد وهو رضا الشاعر من نوال محبوبته بطيفها وتذكرها ، فكلا الفعلين يعنى: يرضينى.

ثـم يقـول فى البيت الحادى والخمسـين :

وفى الجواب متاع إن شفعت به ٠٠ بيض الأيادى التى مازلت توليها

نرى فى أول البيت تشبيها فقد شبه الجواب بالمتعة فى أن كلا منها ممتع وهـذا مما يسمى بالتشبيه البليغ الذى حذف فيه الوجه والأداة وفى قولـه (بيض الأيادي) كناية عن صنائع الخير الكثير ، ويمكن أن نعتبر التعبير من باب المجاز المرسل الذي علاقته (السببية) حيث عبر بالسبب وهو الأيادي وأراد المسبب وهو العطاء الكثير والبذل .

والفعل (شفعت) وإن كانت صورته ماضية إلا أنه هنا مقصود به المستقبل ، لأن الشاعر يطلب من محبوبته أن تدوم على العهد وأن تدلل على وفائها له بأن تصلـه ولاتهجـره.

ثـم يختم الشاعـر قصيدتـه بإلقـاء السلام عليها فيقـول :

عليك منا سلام الله ما بقـيت ٠٠ صبابة بك نخفيها فتخفـينا

وهـنا نلحظ أنه يربط السلام عليها ببقاء حبه لها واستمرار صبابته لها وفى قولـه (نخفيها فتخفينا) جناس حيث إن اللفظين قـد اختلفا فى المعنى ولكـن الصورة متشابهة ، فالأولى بمعنى : نسترها ، والثانية بمعنى : تقضى علينا وتهلكنا ، وهـذا الجناس يرينا الشكل كأنه واحد والمعنى مختلف مما يزيد الكلام جمـالا وحسـنا .

والفعـلان (نخفيها وتخفينا) يدلان على الحاضر والمستقبل ، لأن قولـه ما بقيت صبابة بك يعنى مدة بقاء صبابته بها ، وصبابته بها لاتنقطع ما بقى حيا ، كما أكـد هو فى غير موضع من القصـيدة.

والبيتُ أسلوبه خبرى هادئ نحس منه الوداع لمحبوبته والتسليم عليها، وكأنـه لن يراهـا ، فهو صادق الشعور والحس فى كثير من ألفاظه التى عبر بها على مـدى القصيدة ، وهكـذا يكون شعور المحبين فى كل وقـت وأوان.

وبهـذا تنتهـى القصيدة النونـية لابن زيدون والتى قالها فى محبوبته (ولادة) .

خاتمـــــة

باستعراض ما ذكر يتبين لنا أن ابن زيدون قـد أكثر من استعمال بعض الألوان البلاغية ، وأقل فى بعضها الآخر ، وتوسط فى بعضها.

فمما أكثر من استعماله : الاستعارات المكنية ، والأساليب الخبرية ، والترادف ، والكناية ، وكـذا الطـباق .

كمـا أنه أكثر من استعمال الفعل الماضي فى لفظـه ولكنه يدل على الحاضر فى معناه والعكـس.

ثـم إن التشبيهات توسط فى استعمالها ، وكان المفروض أن يكثر فيها وذلك لأن المحبين يريدون تشبيه المحبوب بما يرونـه مناسبا وتوسط كذلك فى استعمال الأساليب الإنشائيـه .

أمـا ما استعمله بقلـة فينحصر فى المقابلة ، والجناس ، وما يلحق به ، وكـذا الفصل والوصل ، والمجاز المرسل ، والمبالغة ، ومراعاة النظير ، والتضمين ، وحـذف المســند إليه ، والمجاز العقلى .

تلك هى ـ فى الغالب ـ الأنواع البلاغية التى استخدمها ابن زيدون فى قصيدته ، وباقـى الألوان فلا تكاد توجـد.

وحـسبه أنه استجاب لداعى الشاعرية عنده ، وذكـر ما يناسب موقفه، واستطاع التعبير بما رآه موفيا للغرض.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم

٢ـ الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى بشرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ـ الطبعة الأولى ١٩٤٩م والثانية١٩٨٤م ٠

٣ـ بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدى ـ الطبعة الخامسة والطبعة الثامنة مكتبة محمد على صبيح ١٩٧٣م ٠

٤ـ دراسات لغوية فى نونية ابن زيدون (الأزمنة السياقية للأفعال والعلامات الدلالية للكلمات) للدكتور ناصر على عبد النبى ـ مكتبة الآداب ميدان الأوبرا ـ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ٠

٥ـ ديوان ابن زيدون تحقيق محمد سيد كيلانى ـ الطبعة الثالثة ـ مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٥م ٠

٦ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ٠ شرح وتعليق على عبد العظيم ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالفجالة ١٩٧٧م ٠

٧ـ قصائد أندلسية للدكتور أحمد هيكل ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م ٠

٨ـ لسان العرب لابن منظور ٠

المطول على التلخيص للسعد التفتازانى مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ

٩ـ معارضة شوقى لنونية ابن زيدون بين التميز والاقتداء ٠ دكتور محمد عبد الفتاح القشلان ٠

معجم حروف المعاني فى القرآن الكريم ٠ صنفه محمد حسن الشريف

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٩٦م ٠
١٠ـ معـانى المضـارع فى القـرآن الكـريم للأسـتاذ حامـد عبـد القـادر ـ مجلـة مجمع اللغة العربية ـ الجزء الثالث عشر ١٩٦١م ٠

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمـــــة	٧٧٥
تمهيد ويشـــتمل على	٧٧٩
ابن زيدون وحياته ـ ثقافته وعلمه ومناصبه ثم وفاته	
منزلـته الأدبيـــة	٧٨٢
القصـيدة	٧٨٤
(أ) حـــزن وألـــم	٧٨٧
(ب) عتـاب ووفـاء	٧٩٧
(ج) بقـاء على العهـد	٧٩٩
(د) مناشـدة الطبيعة إبلاغ محبته لها	٨٠٧
(هـ) تميز المحبوبـة عن غيرهـا	٨١١
(و) وصف لـذة أيـام الوصـال	٨١٨
(ز) نـدم وبكـاء على الفـراق	٨٢١
(ح) دعـوة إلى العودة لسالف عهدها	٨٣٠
الخاتمـــــة	٨٣٨
المصـادر والمراجـع	٨٣٩
فهرس الموضوعـات	٨٤١